

الفلزات الترابية والقلوية كالصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم .

لقد نقل هذا المصطلح الى أوروبا (مسح ال التعريف) وبقي الى حاله حتى الآن Alkali وقد اشتق منه المصطلح Alkaloids ويتصد بذلك القواعد النباتية Plant Bases ولم نتق على تعريب هذا المصطلح حتى الآن . فيقال القلويدات النباتية او القلوينات او شبه قلبي . وفضل ان يصطلح على اسم - القواعد النباتية - وليس بخاف على الكيمياوي اهمية هذه المواد في الكيمياء العضوية ، وكثرة استعمالها في الطب والصيدلة .

نُحَاسٌ :

وهو اول المعادن التي عرفها الانسان ونسى اللغة هو الصُّنْرُ الجيّد ، والصّفر الذي تعمل منه الاواني والصفار صانع الصفر . ويقال للدخان الذي فيه لهبٌ نحاسٌ . وجاء في القرآن الكريم « يُرْسَلُ عَلَيكُمْ شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ » وقد أجمع المفسرون على أن النحاس هو الدخان الذي يعلو وتضعف حرارته ويخلص من اللهب . ويقال النُّحاس - بالضم هو الصفر نفسه . والنُّحاس - مكسور دخانه ، كما يقال الدُّخان هو النُّحاس .

وربما كانت كلمة الصفر مشتقة من الكلمة الاكدية Sipparru سيارو أو سيفارو . وقد اطلق اليونانيون المصطلح Kypros كبروس على الصفر كما سميت جزيرة قبرص أو قبرس Cyprus باسمه لانه كان يستخرج منها . وسمي في اللغة

اللاتينية معدن قبرص (aes cyprum) ثم حورت الكلمة فأصبحت cuprum وأخيرا استقر الاسم على copper بالانكليزية و kupfer بالالمانية و. cuivre بالفرنسية . من هذا الشرح يتضح أن المصطلح اللاتيني cuprum ما هو الا مصطلح عربي جاء من حضارات وادي الرافدين والحضارة العربية المتأخرة .

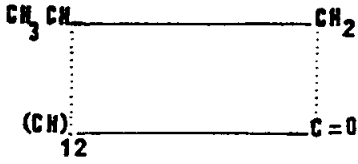
قَهْوَةٌ :

هي اسم من أسماء الخمرة وسميت بذلك لانها تقي شاربها عن الطعام اي تذهب بشهوته (تشبعه) وكما عرف الناس البُنّ ، شاع ، اسمه بالقهوة تدار بالكؤوس ويشربونها كالخمرة ، وقد استعملت في الطب ، فهي منبهة للقلب والكلي وتساعد على السهر وازالة التعب ، وشربها بعد الطعام هاضم ومنشط (ولا يجوز الانراط في شربها) ، كما تعطى القهوة في حالات التسمم بالمخدرات .

لقد انتقلت القهوة الى أوروبا متأخرة (نسي اوائل القرن السابع عشر) ، وسميت في اللاتينية : coffea arabica ، اي القهوة العربية . لقد درس القهوة عدد كبير من الكيمياويين وأستخلصوا منها مواد كثيرة اهمها الكافئين caffeine او الثين Theine لانه يستخلص من الشاي ايضا . وهو مركب عضوي من صنف القواعد النباتية من مجموعة البورينات Purine compounds وقانونه الكيمياوي :

اذا حُصّ وطُبخ ، وكانت القهوة .

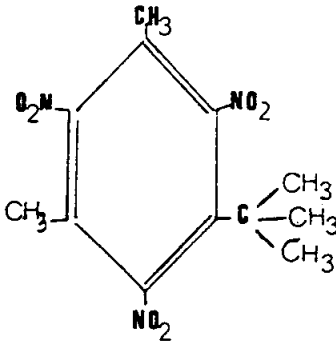
Cyclic Terpenes وقانونيه :



المسكون :

Muscon

لها كان المسك غالي الثمن ، فقد عمد الكيميائيون على إنتاج مركبات كيميائية لها رائحة المسك ، ونعلا يمكن من ذلك ، و انتج مواد كثيرة رخيصة الثمن ، عرفت باسم - المسك الصناعي - وهذه المركبات تختلف في تركيبها الكيميائي عن المسك الطبيعي .
ومثال ذلك ، مسك الزايلين ، Xylene Musk

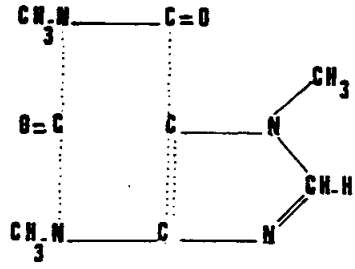


كافور :

الكافور نبات له نورة ابيض كتور الأقطوان ، وقالت العرب : الكافور أخلاط تجمع من الطيب ، تركب من كافور الطلع (كافور الطلعة وعاءها الذي ينشق عنها) . وسمي كافوراً لأنه قد كثرها اي غطاها . وجاء في القرآن الكريم : إر الإبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً .

وقال الشاعر :

كالكرم اذ نادى من الكافور



الكافئين caffeine

مسك :

جاء في لسان العرب ، المسك ضرب من الطيب مذكر ، وقد أنهت بعضيم على أنه جمع واحدته مسكة .
قال الشاعر :

لقد عاجلتني بالسباب وثوبها

جديد ، ومن أردانها المسك تنفح

ويقال دواء مسك اي فيه مسك . وجاء في الحديث الشريف : خذي فرصة متمسكي بها . وفي رواية اخرى : خذي فرصة متمسكة فتطبي بها . (الفرصة القطعة ، يريد بها قطعة المسك) .

والمسك اسم غير عربي ، فيما يزعم ، معرب ، وهو من أجل أنواع العطور واغلاها ثمناً ، ويحصل عليه من غزال المسك . وكانت العرب تسميه : - المشموم - .

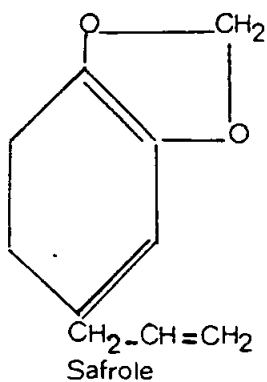
لقد بقي هذا المصطلح في الكيمياء على النحت العربي حتى الآن . ويسمى بالانكليزية والفرنسية والالمانية Musk و Muschus . وقد استخرج منه مركب كيميائي معتد التركيب نوعاً ما ، وهو الذي يعطي الرائحة ، وسمي موسكون Muscone .

وهذا المركب من صنف التربينات الحلقية التركيب

واسم الزعفران في اللغة الاكدية a-zn-pi-rec ،
 وورد اسمه ايضا في اللغة السومرية Sam azupiru .

وجاء المصطلح العربي من هذا الاسم السومري
 « ارزونيرو - ويعتقد البعض ان اسمه مأخوذ من
 الفارسية ، وهذا غير وارد ، لان الاسم معروف
 والمصطلح واضح في اللغات القديمة ، واضح ايضا
 ان المصطلح العربي نحتت من لغة سكان وادي
 الرافدين .

واسم نبتة الزعفران في اللغة اللاتينية
 Crocus Sativus ، والاسم الشائع في اللغات
 الاوروبية Safron ، مأخوذ من المصطلح العربي .
 وقد استخرج الكيماوي من الزعفران مواد كثيرة ،
 ومنها المركب المعروف باسم Safrole = سافرول
 وقانونه :



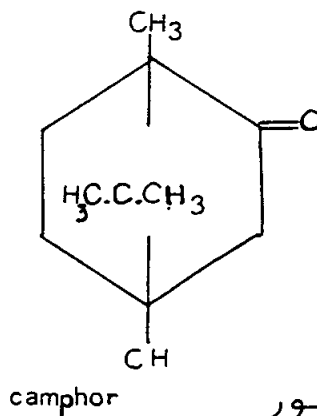
كُرْكُم :

معروف ، وهو من التوابل الطبية ، وله أسماء
 كثيرة في اللغة العربية ، منها عُروق صُفر ، وزعفران
 الهند ، وهَرْد ، ووَرَس . والاسم كركم منحدر من
 الاسم البابلي Kurkanū ، فقد عرفه سكان وادي

وقال ابن بري : لا أحسب الكافور عربيا لانهم
 ربما قالوا القَوْر والقانور (لسان العرب) .

يسمى الكافور في اللغة السنسكريتية كارپورا
 Karpura ، ثم سماه سكان الملايو والهند كابور Kapur
 وأخذ العرب من الهنود والفرس ، فسماه : كافور
 Kafur ثم سمي في اللاتينية كامفورا Kamphora .
 وأول استعمال لهذا الاسم في اللغة الانكليزية كان
 سنة 1230 م ، حيث اطلق عليه اسم Camphire ،
 ثم حورت الكلمة طبقا للاسم اللاتيني فسمي Camphor ،
 وهو الاسم الشائع الآن في جميع اللغات الاوروبية ،
 علما بان الاسبان يسمونه طبقا للمصطلح العربي :
 Al-Comphor

ويعرف الكيماوي ان الكافور مركب من صنف
 التربينات الحلقية المركبة Poly Cyclic Terpenes
 ويستعمل في الصناعات الكيماوية ، وفي التعميم ، اذ
 هو أحسن المواد ضد الطفيليات النعجية ، وكذلك
 في تحضير بعض الأدوية الطبية ، وقانونه :



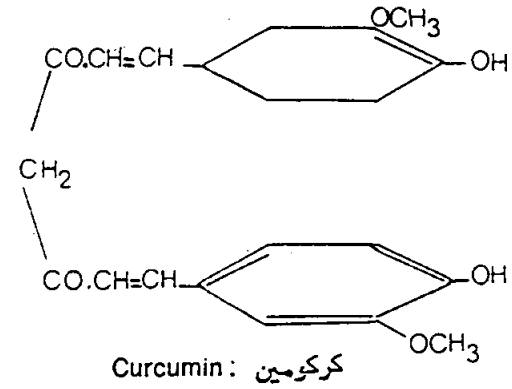
كافور

زَعْفَرَان :

عرفت هذه النبتة عند البابليين ، واستعملت في
 الطب ، وفي تحضير البهارات ، كما استعملت نسي
 الصباغة ، ولا يزال الزعفران يعتبر شيخ الافاويه .

الرائدين معرفة جيدة واستعملوه في صناعة التوابل ، وفي صباغة القطن والحرير باللون الاصفر . وقد بقي يستعمل كصبغة للحرير حتى نهاية القرن الثامن عشر .

يسمى الكركم في اللغات الاوروبية Curcuma او Curcumas ، مأخوذ من الاسم اللاتيني لنبته الكركم Curcuma Tictoria . ان المصطلح العربي واضح كل الوضوح في هذه التسمية . وقد استخلص من الكركم مادة كيميائية تسمى كركومين Curcumin تستعمل في الكيمياء التحليلية (من الدلائل Indicator) . والتانون الكيميائي للكركومين هو :



كَمُون :

نبات معروف ، المستعمل منه ثماره ، له حَبّ أدق من السمسم ، واحدته كونة ، ويقال لسه السنوت أيضا . قال الشاعر :

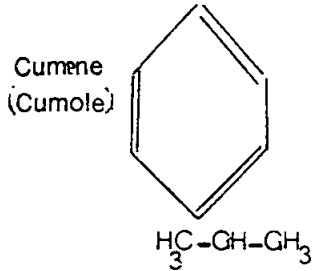
فَأَصْبَحْتُ كَالكَمُونِ فَاتَتْ عَرُوقَهُ
وَأَغْصَانُهُ مِمَّا يُعْتُونَهُ خُضْرُ

ان المصطلح كمون على اغلب الظن مشتق من اللغة الهيروغليفية (المصرية القديمة) فقد ورد اسمه « كميني » وهو انواع كثيرة ، منها كصون

اسود ، وينسى حَبّة البركة او شونيز (فارسية) او حَبّة سوداء . وكمون أرمني وهو الكروايا .

يسمى الكمون في اللاتينية Cuminum Cyminum مأخوذ من الاسم العربي . واسمه بالانكليزية والالمانية والفرنسية Cumin . وهو عشب طبي كثير الفوائد والاستعمالات .

وتستخلص منه زيوت طيارة ، ومواد كيميائية عضوية اخرى مثل الكومين Cumine او الكومول Cumole يستعمل في تحضير بعض الادوية لطيب رائحتها وكذلك في صناعة العطور . وقانونه الكيمياءوي :

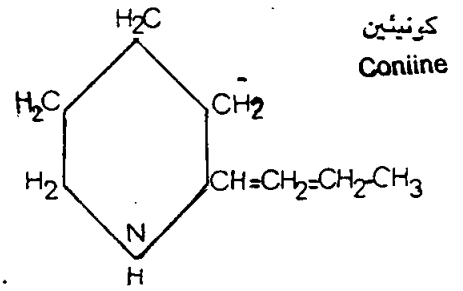


اسم عشبة طبية ، سامة جدا ، ويكن السم في جميع أجزائها ، وخالصة هذه النبتة هو السمسم المشهور الذي سَمِرُهُ « سقراط الحكيم » عندما حكم عليه بالموت . فقد خبرته محكمة أثينة بالطريقة التي يريد أن يقدم بها ، فطلب القونيون ولذلك سمي «سَمّ سقراط » وكان الاثينيون يستعملونه في إهلاك عظماء القوم للتخلص منهم .

القونيون اسم معرب عن الاغريقية Conium ، واسمه في اللاتينية مأخوذ من اسم النبتة Conium maculatum ،

ولهذه النبتة أسماء كثيرة في اللغة العربية ، منها شَوَكْران ، وشوكران البساتين ، وقونيون البساتين وبقدونس كاذب ، وبقدونس المجانين ، والحَقْوُطَة

(بمعجمية الاندلس) . ويسمى بالرومانية Cicuta ، كاذب ، او زعفران امريكا ، ويستخرج منه الصبيغ واسمه العلمي في اللغات الاوروبية الحديثة « Coniun » الاصفر المعروف باسم Carthamine .
 ويسمى بالانكليزية Hemlock ، وفي الالمانية Fleckschierling
 وفي الفرنسية Ciguë tachete'e او Grande ciguë ، ولا يفوتنا ان نذكر ان اسم النبتة شوكران جاء في النصوص الباطنية القديمة (Kan Sa la ia) .
 استخلص الكيميائيون من القونيون مواد كثيرة من صنف القواعد النباتية Alkoloids واهم هذه المواد هو المركب المعروف باسم « كونيئين » Coniine وهو بسيط التركيب ، سام جدا ، يستعمل في الطب لعداوة بعض الامراض ، وقانونه الكيميائي :



سِتُّ الحُسْنُ او (حسن يوسف) :

ان الكلمة Atropa مأخوذة من الاغريقية Atropos ، اي لا يلتوي ولا يلين . وهواله القضاء والتدر عند اليونانيين ، المسؤول عن مجرى الحياة . وفي هذا اشارة الى شدة السم في النبتة . و Bella dona (ايطالية) ، متكونة من كلمتين Bella جميلة و Dona سيدة ، اي السيدة الجميلة .

ويذكر ان نساء اوروبا ، وخاصة الايطاليات منهن ، كن يضعن قطرة من عصير هذه النبتة نسي عيونهن قبيل دخولهن قاعات الاحتفالات العامة منها والخاصة . فمن خواص هذا العصير (العقار) انه يولد لمعاناً ويريقا في العين ، كما يوسع حدقتها فتكسب جبالاً ورونتا ، ولم يكن يعبان بتأثيره الجانبى ، اذ انه يسبب غشاوة حادة تحجب الرؤيا لفترة من الزمن ، حتى يزول تأثير العقار عن العين .

ولما نقلت النبتة الى الشرق او اسمها فقط (فربما كانت معروفة ولكن بغير هذا الاسم) وضع العرب لها مصطلحاً جديلاً هو « ست الحسن او حسن يوسف » (النبي يوسف ع) .

جاء في تاج العروس : هو نبات يلتوي على الاشجار ، وله زهر حسن ، ويظهر ان المصطلح دخل اللغة العربية متأخراً ، اذ لم تذكر هذه النبتة في كتب المفردات الطبية القديمة .

كان العرب يستعملون نباتات كثيرة في التجميل ومن أشهرها نبات العَصْفُر الذي يُحَمَّرُ الخدود عند النساء ، ويمتد البعوض ان العصفور هو سست الحسن ، وهذا غير وارد ، لان العصفور هو القُرْطُم Carthamus tinctori ويسمى ايضاً زعفران

زيت الزاج :

وضع هذا المصطلح جابر بن حيان ، واستعمله الرازي من بعده ، فقد حُضِرَ من الزاج الأزرق سائلا زيتي القوام ، أُطلق عليه اسم « زيت الزاج » او الزيت المذيب ، وهذا هو حامض الكبريت . H_2SO_4

والزاج جمعها الزاجات ، مواد معروفة منذ العصور القديمة جدا ، وهي كبريتات المعادن الثقيلة . والزاج الأزرق هو كبريتات النحاس المائية ذات اللون الأزرق $CuSO_4 \cdot 5H_2O$

المياه الحادة :

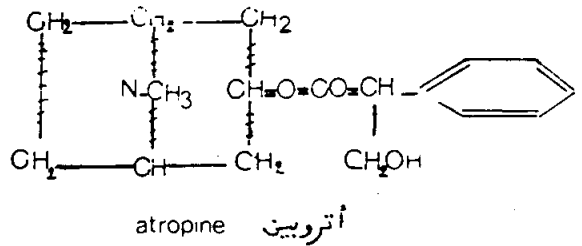
حُضِرَ جابر بن حيان حامض النتريك ، وربما حامض الكلوريدريك أيضا - وقد أطلق على الحوامض المصطلح « المياه الحادة » .

لقد مزج جابر الحامضين (النتريك والكلوريدريك) فحصل على « الماء الحاد » الذي أذاب به الذهب . وقد سمي هذا الماء في اللغة اللاتينية - متأخرا - Aqua regia أي الماء الذي يذيب ملك المعادن - الذهب - ، ثم سمي في اللغة الألمانية Königswasser أي الماء الملكي .

التكليس :

قال جابر بن حيان : ان التكليس عملية ضرورية في الكيمياء ، وتكاد تكون متصورة على المعادن ، لانها تبدأ بالتسخين الشديد الذي لا تقوى عليه الارواح - كملح النوشادر - فتتطاير ، والغرض من التكليس إزالة الشوائب المترتبة بالمعدن وحرقتها ، ننتركه نقيًا - وهذه هي إحدى عمليات التعدين المعروفة

تحتوي ست الحسن على مركب كيميائي يعرف باسم أتروبين Atropine ، يستعمل في الطب لاجراض كثيرة ، منها فحص العيون ، والسيطرة على افرازات الغدد الداخلية في الجسم . وهو مخدر وسام ، شديد الخطورة . والأتروبين من صنف القواعد النباتية Alkaloids ، يَكْمُنُ بالدرجة الأولى في الاوراق والجذور من النبتة . وقانونه الكيميائي هو :



وقبل ان نعرض ما أُعِدَّ من آخر الاتمطاط نرى لزاما علينا أن نهيب بالاعمال العظيمة التي حققتها المترجمون الاوائل ، فقد استطاعوا بجدارة تعريب الكثير من المصطلحات في مختلف العلوم والفنون وأدخلوها الى اللغة العربية ، وقالوا - كما قدمنا - انها من اصل كذا وكذا . وهذه هي الامانة العلمية الحقيقية .

وبعد دور الترجمة جاء دور التأليف والابداع ، وهنا اخذ الفيلسوف والعالم يضع المصطلحات والاسماء ، فجاءت هذه مكملة لما نقل وترجم من قبل ، وكانت حصيلة ذلك كله النهضة التي شغ نورها من البلاد العربية والاسلامية الى غيرها من البلدان ، ذلك النور الساطع الذي اثار لاوروبا طريق الفكر والمعرفنة .

اليوم .

ويقال كَلْسٌ، والكَلْسُ والتكليسُ، والكالسيوم ، عنصر
ممعروف Calsium رمزه Ca

التصعيد :

وصف جابر بن حيان التصعيد ، انه للارواح
بمنزلة التكليس للمعادن ، والمقصود هنا التنقية
بطريقة التسامي Sublimation كتنقية الكبريت
والكافور ، وغيرها من المواد الكيماوية عضوية
وغير عضوية .

. . .

هذه بعض الامثلة على ما جاء من مصطلحات في
الحضارة العربية ، وهي غيظ من فيض . ونرجو أن
يعتبر هذا الحديث بمثابة المفتاح لفتح باب المناقشة
حول المصطلح الكيماوي الذي اجتمعنا من
اجله في بلدنا الثاني - تونس الحبيبة - ولنا وطيد
الامل بأن نخرج باسم بناء يسير عليها المؤلفون
والترجمون من ابناء أمتنا .

وقد يسأل سائل ، كيف اختيرت هذه الاتصااط ،
والجواب على ذلك هو : اتنا حقنا أكثر من ستمائة
مصطلح ، فأصيب ما درس منها في « القرعة » وليس
بالتصيين . وعسى أن نكون قد استطلعنا عرضها بصورة
تتفق وواقعها العلمي .

ان الكشف عن المزيد من المآثر العربية أمر
منوط بشباب هذه الامة ، ذات الحضارة المريقة ،
وهم علماء المستقبل ، وعليهم تقع مسؤولية النهوض
بها ، واعادة مجدها العلمي الذي قدم للحضارة
والانسانية أجل الخدمات . وندعو الله العلي
القدير بأن يأتي اليوم الذي يتلاقى فيه المغرب
والمشرق في فكر عربي جديد يتلام والمدنية العالمية
الحاضرة وعلوبها الحديثة . « وان غدا لناظره
قريب » .

ونرجو أن يوفق كل من « مكتب التمريب في
الرباط » و « بيت الحكمة في بغداد » في أعمالهما .

« نقل أعمالوا نسيرى الله عملكم ورسوليه
والمؤمنون » .

المراجع

- 1 - لسان العرب - لابن منظور .
- 2 - القاموس المحيط - للفيروز آبادي .
- 3 - محيط المحيط - للبيستاني - بيروت 1977 .
- 4 - معجم في العلوم الطبية والطبيعية - قاموس شرف . القاهرة 1929 .
- 5 - معجم الالفاظ الزراعية - مصطفى الشهابي - القاهرة 1957 .
- 6 - المورد - منير البعلبكي - بيروت 1969 .
- 7 - معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس - مصطفى الدبباضى . القاهرة 1965 .
- 8 - شرح أسماء العطار - لابی عمران موسى القرطبي . تحقيق ماكس مايرهوف . القاهرة 1940 .
- 9 - Der Neue Brockhaus. (Leibzig 1938)
- 10 - British Encyclopedia.
- 11 - B. Neuman : Lehrbuch der Chemischen Technologie (Berlin 1938)
- 12 - P. Karrer : Organic Chemistry (Amsterdam 1950)
- 13 - H. Remy : Lehrbueh der organischen Chemie (Leibzig 1940)
- 14 - M. Levey : Chemistry and Chemical Technology in Ancient Mesopotamia .
- 15 - V. Tyler J. E. Claus : Pharmacognosy (Phild. 1968).
- 16 - الجامع لمفردات الادوية والاعغية - لابن البيطار .
- 17 - المعتد في الادوية المفردة - تحقيق مصطفى السقا . مصر . 1951 .
- 18 - تذكرة ابن ارمانئوس - القاهرة 1922 .
- 19 - تحفة حكيم مؤمن - تحقيق محمود نجم آبادي . ايران .
- 20 - كتاب التلخيص في معرفة أسماء الاشیاء - لابی هلال العسكري ج 2 . تحقيق عزة حسن . دمشق 1970 .
- 21 - التداوي بالاعشاب - أمين رويحة - بيروت 1965 .
- 22 - أحياء التذكرة - رمزي مفتاح . 1953 مصر .
- 23 - نباتات شامية - تأليف - ميليسنت سيلسم - ترجمة جعفر خياط - بغداد 1962 .
- 24 - جابر الشكري - محاضرات في تاريخ العلم والحضارة العربية (ملازم 1978 بغداد) .
- 25 - جابر الشكري - مجلة الكيمياء - المجلد 2 ع. الثاني - 1978 ، بغداد .

الألفاظ القربية بين المعنى، اللفظي، والدلالة الفكرية والاجتماعية

الدكتورة ابتسام مرهون الصفا
كلية الآداب - فاس

وإذا كان علم دلالة الألفاظ ليس بحثاً لغوياً صرفاً ، بل يتناول جميع المعارف التي أدركها العقل الإنساني ، والمجهود البشري من علوم ولفسات وكشوف ، ومخترعات ونظريات (2) فإننا سنحاول تطبيق هذه المقولة يتناول جانب واحد من جوانب اللغة ودلالة الألفاظ فنختار منها الألفاظ التي لها دلالات مختلفة تتجاوز المعنى اللفظي أو المعجمي السرعي بل قد تؤثر في تفكير العرسي ، وتصيب سلوكه ، وتحركه في المجتمع والحياة . فبعض الألفاظ ترتبط في أذهان مجموعة من الناس بمعان قد تختلف عن دلالاتها في أذهان آخرين ينتمون إلى نفس الأمة ، أو يجاورونها . ومن هنا فإن استعمالهم لهذه الألفاظ متعلق بما توجيه

من المعلوم أن علم الدلالة أو ما يسمى بـ (Semantics) هو من العلوم التي نشطت في أوروبا في العصر الحديث (1) ، وكتب فيه علماء من شتى الاختصاصات ، كما أن الدراسات اللغوية بصورة عامة قد نالت اهتماماً كبيراً من لدن الباحثين ، وتخصص علماء كثيرون في ميادين متشعبة منها ، لأن اللغة - أي لغة - تعتبر الوسيلة المهمة التي تعطي كيان الأمم ، وتسجل تراثها ، وهي مرآة تحية تجسد حضارتها ومعتقداتها ، وتقلدها وازدهار سبل الحياة فيها أو ترديها . كما تسجل اللغة دقائق حياة الشعوب ، وما أنطوت عليه من أسباب تقدمها ، رقيها أو انحطاطها وانهارها .

(1) هذا هو القول الشائع إلا أن تحقيق الكسب القديمة أظهر أن للعرب بدايات في هذا العلم وأن علمائنا قد وضعوا اللبنة الأولى فيه ، وسبقوا الأوربيين في هذا العلم الذي يعتبر من أهم علوم اللغة في العصر الحديث ، فكتاب الزينة في الكلمات العربية الإسلامية للرازي (ت 322 هـ) يعتبر من المؤلفات العربية التي عالج مؤلفوها موضوع دلالة الألفاظ وتطورها ، وهو يسوق النصوص والشواهد الصحيحة التي تؤيد ما يقول ، ويرتبها في بعض الأحيان ترتيباً تاريخياً .
بين للتاريخ أصل الدلالة وكيف تطورت ، فيستطيع أن يستنبط سبب هذا التطور الزينة من 12 مقدمة إبراهيم أنيس .

في نفوسهم من معانٍ من جهة ، وبحاجتهم للتعبير عن هذه المعانى من جهة اخرى .

ومجموعة الالفاظ التي اخترناها تتعلق بجانب مهم من جوانب السلوك الاجتماعي للعرب قديما ، وعلاقتها بتفكيرهم ومعتقداتهم ، أو تأثيرها على سلوك بعضهم بشكل قد يخالفون به غيرهم من العرب . هذه الالفاظ تتعلق بموضوع الطيرة والغال أو بالاحرى بالمظاهر التي كان العرب يتطيرون منها ، أو يتعاملون بها ودلالة الالفاظ واشتقاقاتا عليه . وإذا كان موضوع الطيرة والغال يستحق الدراسة وحده فانا سنختار - كما قلنا - جانب الالفاظ التي اقتصرت في الذهن العربي بانكار معينة أو بسلوك تفرضه على المتكلم أو السامع إن عرضت أمامه ، وإن اختلف استعمالها تبعاً لاختلاف نفسية الناس ، وما جبلت عليه من رهانة حين قد يوصلها الى الوسواس والتشكك ، أو ما جبلت عليه من عزيمة وإصرار ، تحولان دون الاحجام والتردد .

وسوف نحاول تقسيم هذه الالفاظ الى مجموعات :

الاولى : الالفاظ لمسميات وأشياء مادية يعدل عنها الى الالفاظ اخرى ، لا لشيء الا لان نفسية السامع مرهنة حزيمة متشائمة سرعان ما تشفق من هذه الاسماء أفعالاً يتطير منها أو يتشامم منها ، واسماء اخرى لمسميات ، وأشياء مادية إذا ذكرت أثارَت دلالتها في النفس الخير والفرحة والتناول .

الثانية : الالفاظ يعدل عنها الى اخرى تؤدي عكس معناها اما تناوُلاً أو ذوقاً أو مجاملة .

الثالثة : الالفاظ يعدل عن ذكرها ويلجأ الى الكتابة والرمز هرباً من استعمالها مجاملة أو ذوقاً أو تطيراً ايضاً .

ولنبداً بتتبع الالفاظ المجموعة الاولى مفتحين دراستنا بأكثر الالفاظ شيوعاً في هذا المجال وهو لفظ :

الغراب : ودلالته في الذهن العربي على معاني الشؤم والشر ، فإذا وصف شخص بأنه غراب لم يرد بذلك لونه أو شكله وإنما يريدون وصفه بالشؤم لما اقتصرت به لفظة الغراب من معاني الشر في الذهن العربي . وما يزال الناس - في العراق مثلاً - إذا بعثوا شخصاً ما في مهمة فانهم يسألونه عند عودته : أحمامة أم غراب ؟ يريدون هل وفقت في مهمتك أم فشلت فكنوا عن التوفيق بالحمامة وعن الفشل بالغراب ، ذلك ان العرب اعتبروا الغراب شر الطيسور (3) ، وهو أكثر من جميع ما يتطير به في باب الشؤم منهم يذكرونه كلما فكروا ما يتطيرون منه ، وقد يذكرون الغراب ، ولا يذكرون غيره ، ثم إذا فكروا كل واحد من هذا الباب لا يمكنهم ان يتطيروا منه الا من وجه واحد ، والغراب كثير المعانى في هذا الباب فهو المتعم بالشؤم (4) كما يقول الجاحظ الذي علل سبب تشاؤمهم منه ، ومزا ذلك الى أمرين هما : لونه الاسود ، ولاته لا يعيش الا في الاماكن المهجورة ، ولذا ارتبط وجوده بديار الاحبة التي هجرها أهلها .

أما صوت الغراب فهو نذير السوء ، وهو الغيب الذي ينبئ بالفراق والشر . يقول أبو خولة الرياحي وأصفاً قوماً بالشؤم ، وعدم اقدامهم على الخير :

مشائم لبسوا مصلحين مشيرة
ولا ناعب الا بيبين غرابها (5)

ويقول عنتر بن شداد :

ظمن الذين مراقهم اتوقع
وجرى بينهم الغراب الابقع

حرق الجناح كان لحيسي رأسه
جلمان بالاخبار هش مولع

مزجرته الا يفرخ عشه
أبداً ، ويمصبح واحداً يتجمع

ان الذين نعبت لي بفراقهم
هم أسهروا ليل القيام فلو جمعوا (6)

(2) حسين بن نبيذ الله الهمداني في مقديته لكتاب الزينة من 15

(3) انظر في هذا كتاب اللغة والمجتمع لعبد الواحد واني ص 10 .

(4) الحيوان 443/3 وانظر في هذا شعرا لابن الزبير في بني أمية في الحيوان ايضاً 432/3

(5) الحيوان 431/3

ويقول أبو الشيمس في هذا الباب ذاكرا ان نعبات الغراب انما هي اعلان عن قرب وقوع الغربة ، والبماد، وبهذا تحول المعنى اللفظي لكلمة (غراب) من اطلاقها على طائر بعينه الى اشتقاق يفهم منه الغربة والبعد :

اشاتك والليل ملقى الجران

غراب ينوح على غصن بسان
احص الجناح شديد الصباح

بيكي بعينين ما تذرمان
وفي نعبات للغراب اغتراب

وفي البان بين بعيد التدان (7)

اما جميل بثينة فانه يحمل الغراب تيمة فراقه لأحبته ، وكأته هو المسؤول عن ذلك فصورته تبيع يخبره دائما بان لا لقاء له مع حبيبته لذا فهو يدعو عليه بسويلات الفراق ، ويكسر الجناح :

الا يا غراب البين فيم تصيح

فصوتك مشني الي تصيح
وكل غداة لا ابالك تنتحي

الي فتلقتني وانت مشيح
تحدثني ان لست لاتي نعمة

بمدت ، ولا أمسى لديك نصيح (8)
ويقول ايضا :

الا يا غراب البين لونك شاحب

وانت بروعات الفراق جدير
فان كان حقا ما تقول فاصبحت

هموك شتى والجناح كسير (9)

ومثل هذا قول قيس بن زريح في دعائه على الغراب بان لا يحمل عشه بيضة واحدة ، وان يكون جناحه واهيا ، وهو وان ينكر على الغراب ان يكون عنده علم الغيب الا انه يبدو مقتنعا بما يوحيه صوته من معنى الفراق والتطيمة ، فكيف به والغراب يمر

عن شماله بما توحيه فكرة زجر الطائر ، ومروره من شمال الانسان (10) ، من معاني الشؤم والطيرة :

الا يا غراب البين ما لك كلما

تذكرت لبني طمرت لي عن شماليا
اعنك علم الغيب ام أنت مخبري

عن الحي الا بالذي قد بداليا
فلا حملت رجلاك عشا لبيضة

ولا زال عظم من جناحك واهيا (11)

ولعلة ما وجدناهم يميزون بين صيحات الغراب، فاذا صاح مرتين فهو شر ، وان صاح ثلاث مرات فهو خير على قدر عدد المرات (12) .

ومن باب التطير من الغراب اطلقوا عليه اسم الاعور ، وهو ليس كذلك ، لانه كما يقول الجاحظ (ناقد البصر ، صاني العين حتى قالوا : اصفى من عين الغراب، كما قالوا اصفى من عين الديك، وسموه الاعور كناية) (13) فهل سموه بالاعور تخلصا من ذكر لفظه الذي يتشامون منه ؟ ان كان كذلك فانهم قد تشاموا من الاعور ايضا - والارجح انهم وصفوه بالاعور ، وكانهم يشتمونه دلالة على كرههم له .

اما استعمال لفظ الغراب لدلالته اللفظية على اشتقاق أعمال تتناسب وعقلية السامع والمتحدث فهو المجال الذي نريد عرضه هنا ، فهم حين يرون الغراب لا يتطرون من رؤيته كما اظهرت الشواهد السابقة نحسب ، بل انهم سرعان ما تحدثهم نفوسهم بهواجس سببها طبيعة تركيب حروف كلمة الغراب ، فهم يشتمون منه لفظ الاغتراب والغربة في الذهن ، وهو بهذا نذير سوء لمن يتملكه الهواجس بهذا الشكل ، ولولا رهانة حس المتشائم لما اشتق من كلمة الغراب ، الغربة وهو الذي يستطيع ان يشفق منها الرغبة ، والبر ، ورغب ، ورب ، وير مما يمكن ان تولفه حروف لفظ الغراب (14) يقول كثير عزة ، وقد رأى غرابا ينتف

(6) شرح ديوان عنتر بن شداد 103 - 104

(7) عيون الاخبار 194/1

(8) ديوان جميل بثينة 50 .

(9) ن . م . 94

(10) راجع كتابنا التعابير القرآنية والبيئة العربية : 165

(11) الحاسة البصرية 197/1 ، وانظر ايضا ابياتا اخرى في التطير في كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة 262/1 ، الحيوان 429/3 وحجاسة ابن الشجري : 210 ، بلوغ الارب ، 337/2 .

(12) الحيوان 458/3

(13) ن . م . 335/2 وقد ورد ذلك في شعر الحطيئة : ديوانه برواية ابن السكيت : 155 ، وفي شعر ابي حية النميري في الحيوان 428/3 .

ريشه فتجسدت امامه كل معاني الشر ، اما البان
الذي وقف عليه الغراب فسرعان ما اشتق منه لفظ
البنين :

رايت غرابا واتما فوق بانه

ينتف اعلى ريشه ويطايره
نقلت ولو اني اشاء زجرته
بنفسي للنهدي هل انت زاجره

والنهدي رجل من بني نهد - وهم من ازجر
العرب واكثرهم تنسيرا لحوادث المستقبل من ظواهر
بيرونها :

مقال غراب باغتراب من النوى

ويالبان بين من حبيب تعاشره (15)

فالشاعر هنا لم يكتب باشتقاق الغربة من لفظ
الغراب بل اشتق من لفظ البان البين والسفراق في
الوقت الذي اترنت دلالة البان عند الشعراء المتغزلين
بوصف المحبوبة ، لانهم كثيرا ما شبهوا النساء
الرشيقات به ، ولكن الشاعر وجه دلالة الكلمة من
اطلاقتها على غصن بعينه الى دلالة لفظها بها يشتق
منه . وقد بنوا على هذه الرواية خبرا فصلوا فيه
كيف ان كثيرا حين راي الغراب ينتف ريشه ، ويطايره
عن راسه ، تشام ثم ذهب الى عراف من نهد فأخبره
الخبر المشؤم (16) بوفاة صاحبه :

ويقول شاعر آخر جامعا دلالتى البين والغربة
في بيتين من الشعر :

تغنى الطائران ببين سلمى
على غصنين من غرب وبار
فكان البان أن بانيت سليمانى
وفي الغرب اغتراب غير دان (17)

والصرد

طائر آخر لم يذكر القدماء ان العرب تشاموا
منه تشاومهم من الغراب ولكن الشاعر المحب اليانس
من وصال حبيبه يغير دلالة الكلمة من اطلاقها على
طائر بعينه الى اشتقاق لفظ ينسجم مع نفسه المتأله
فيذكر التصريد وهو التقليل دلالة جديدة يحيط بها لفظ
الصرد الذي رآه واقفا على غصن من الغصون :

دعا صرد يوما على غصن شوحط

وصاح بذات البين منها غرابها
نقلت أنصريد وشحط وغربة
نهذا لعمري نايها واغترابها (18)

اما الشوحط الذي هو ضرب من الشجر تتخذ
منه القسي فان الشاعر هنا اشتق لفظ الشحط
وهو النوى فزاده ذلك أسى وحزنا .

والفصن الذي اترنت دلالته في ذهن الشعراء
والناس عامة بالخضرة والجمال والفتنة وقرنوا حركاته
الرشيقة اذا لابعته الريح الهادئة بتهادي المحبوبة ،
هذا اللفظ نجده عند بعض الشعراء يفقد دلالاته الجميلة

14) على ان هناك امثلة اخرى لشعراء رفضوا فكرة التشاوم من الغراب ، وتساخروا بانهم اذا
تصدوا امرا فانهم لا يثنيم عنه صوت غراب او غيره انظر الحيوان 149/3 ، عيون الاخبار
145/1 ، اللسان مادة (وقي) . اما عبيد الله بن قيس الرقيات فانه لم ينكر التطير من الغراب
فحسب ، بل تجاوز ذلك الى التناول به ، واعتبر نعيته رسالة بشرى من صاحبه سعدى بان
وصالها سيكون قريبا . ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : 84 .

15) ديوان كثير عزة ، الحيوان 441/3 وقد ذكروا قصة منسوية لابى ذؤيب يتشام فيها من جملة امور
يشتق منها الفاظا يفسرها حسب هواه ، وانه ما ان قدم المدينة حتى سمع بكاء المسلمين على
الرسول صلى الله عليه وسلم وتعيهم له - بلوغ الارب 314/3 .

16) الموشى : 175 وفي رواية اخرى ان العراف كان من بني الازد ، وانه قال له تذهب مصر ،
وتراها قد ماتت او خلف عليها رجل من بنى عمها ، فلما انصرف وجدها قد تزوجت ، عيون
الاخبار 148/1 .

17) الحيوان 440/3 ونسب ابن قتيبة البتتين للشاعر المسمى بالمعلوط عيون 149/1 ، وهما في نثار
الازهار لابن منظور : 75 منسوبان لجحدر بن الفتمسى .

ويقتصر على دلالة واحدة مؤلمة يشتقونها من بعض حروفه ، وهي الفمص والحركة والالم :

أقول يوم تلاقينا وقد سجت
حابتان على فصنين من بان
الآن أعلم ان الفصن لي فمص
وأما السبان بين عاجل دان
فرحت تخفني ارضى وترفني
حتى ونيت وهذا السير اركاتي (19)

وأذا كان الشاعر لا يرتاح لهبوب الجنوب لانها ريح تزيد ضيق نفسه بهوائها الحار فان المتشائم يضيف اليها دلالة اخرى لا ملاقة لها بطبيعة هذه الريح ، وانما يشتق منها لفظ الاجتناب عن الاحبة ، والبعد عنهم . اما الصبا التي طالما تغنى بها شعراء الغزل ؛ لانها تذكرهم بانفاس من يحبون ، او انهم يتخيلون عند هبوبها وشم نسايمها العليقة انها تحمل تحيات احبائهم البعيدين ، الا ان المتشائم ينسى كل هذه الصور الجميلة ، ولا يبقى في ذهنه الا اللفظ الذي يشتقه عن تركيب حروفها وهي الاجتناب من الجنوب، والصبابة والهجر من الصبا اما القضية التي وقف عليها الغراب فقد اشتق منها لفظ قضب الهوى اي قطع المودة يقول ذو الرمة :

رايت غرابا ساططا فوق قضبة
من القضب لم يثبت لها ورق خضر
فقلت غراب لاغتراب وقضبة
لقضب الهوى هذي العيافة والزجر
وهبت جنوب باجتنايسي منهم
وهاجت صبا قلت الصبابة والهجر(20)

وتد جمع الجاحظ مجموعة من الالفاظ في قطعة شعرية انشدها على لسان صاحب الغراب الذي احتج لتشاؤم الناس منه بقوله :

نظرت واصحابي ببطن طويل
ضحيا وقد افضى الى اللبب الجبل
الى ظبية تعطو سيالا تصوره
يجانبيها الأمان ذو جدد طفل

نقلت وغفت الجبل جبل وصلها
تجذذه سلساك وانصرم الجبل
وقلت سيال قد تسلت مودتي
تصور غمونا صار جثماتها يعلو
وغفت الغدير الطفل طفلا أنت به
فقلت لأصحابي مضيتكم جهل
رجوعي حزم وامرأئي ضلّة
كذلك كان الزجر يصدقني قبل (21)

فصاحب الغراب هنا يحتج على تشاؤمهم من الغراب ، واشتقاقهم الغربة منه ، وكل لفظ يحتمل عدة اشتقاقات قد يكون من ضمنها معان يتشام منها، فلم خص الغراب بها ؟ ولذلك جاء بالابيات التي شحنت بالالفاظ التي يمكن ان يشتق منها ما يدل على التشاؤم فقد رأى الشاعر ظبية تجاذب شجرة مع طفل لها فاشتق من السيل (نوع من الشجر) لفظة توحى له بان مودة صاحبه قد تسلت ، واما الجبل فهو تنبيه له بانها ستقطع جبل وصلها ، وتهجره . واشتق من الطفل المصاحب للظبية طفلا تده صاحبه اي انها ستزوج قريبا فتبتعد عنه... وهكذا من مشهد ولحد التقط الالفاظ اشتق منها ما يتشام منه ليستدل بذلك على ان الغراب ليس وحده الذي يتشام منه او يشتق من لفظه لفظ الغربة والاغتراب ...

ونجد عكس هذه الابيات ومعانيها في قصيدة لابي حية النسيري ينهج فيها منهجا مختلفا تماما عن منهج المتشائمين ، فهو ان سار مع قومه متجها الى ارضهم لا تسيره الا النية الصالحة والغال الجميل ، وكل ما يراه من مظاهر يتشام منها القوم ان هسى في نظره دواعي تدفعه الى الاستمرار على ما اقدم عليه فلان مر طائر سنيح لم يتشام منه بل لمسره بانه جار مر قربه ، وان اشتق القوم لفظ العقاب اذا راوا عقابا وتشاءوا منه فانه يشتق من نفس اللفظ صيغة تدخل السرور الي نفسه وهي ان القرب من الديار سيمتق بهم بدل البعاد ، وان راوا الدم وتشاءوا منه اشتق بسرعة لفظة ترسم في ذهنه دوام المحبة والصفاء ، وان راوا هدهدا فوق بانه كذلك في نظره هدى وبيان

(18) الحيوان 437/3 والبيتان في زهر الاداب 168/2.

(19) بلوغ الارب 335/2 وفيها تحريف صوبناه اذ كتبت الكلمة الاولى من البيت الاول اقوم ، وكلمة هد في البيت الثالث محرفة الى حد .

(20) ديوان شعر ذي الرمة 300 ، بلوغ الارب 336/2 .

للطريق الذي توجها نحوه وليس البين والفراق كما يشتق الآخرون .. اما اذا راوا حمامات واشتقوا من لفظها الحمام الموت او ربما الحمى (المرض) او حسم الفراق .. فان شاعرنا يتعامل ويشتق من الحمامات حم القرب والوصال :

بدا اذ تمدنا عامدين لارضنا
سنيح فقل القوم مر سنيح
وهب رجال ان يقولوا وححموا
فقلت لهم جاز الي ربيح
عقاب باعقاب في السدار بعدما
مضت نية لا تستطاع طروح
يقالوا دم دامت مودة بيننا

وعاد لنا غصن الشباب قريح
وقال محابي مهدد فوق باة
هدى وبيان في الطريق بلوح (22)
وقالوا حمامات فحم لتاؤها

وعانت لنا ربح الوصال تسوح
ومثل هذه الالفاظ التي ذكرناها الفاظ اخرى
تشارك دلالتها ومعانيها باختلاف نفسية السامع او
المتكلم فالزويحان يتترن في نفسية المتفائل بالروح
وشكله الجبيل يضى على دلالة لفظه معنى الفرح
والاستبشار ، اما المتشائم فانه يتطير منه لانه يذكر
(بان طعمه مر وان كان في العين والانف مقبولا) (23) .

ونكر الوشاء بانهم تطيبروا من الخلاف
— وهو صنف من الصفصاف وحبه اكبر من الحمى —

لانهم اشتقوا من لفظه الخلف والخلاف والاختلاف (24)
ومن هذه الالفاظ ايضا الخروبة ، وهي نسبت
معروف ولكنهم اشتقوا منه لفظ الخراب ، ويروون
خبرا واسطورة عن النبي سليمان يؤكدون به صحة
ما يشتقون منه هذا اللفظ ، وذلك انهم يقولون بلان
الشجر الذي كان في محراب سليمان النبي كانت متكلمة
بلسان ذلق فكانت الشجرة تقول : انا شجرة كذا وفي
دواء كذا فيلزم بها سليمان فيكتب اسمها ، وصفتها
وصورتها ، وتقطع وترفع في الخزائن حتى كان آخر ما
جاء منها الخروبة فتالت : انا الخروبة فقل سليمان
الآن تعبت لي نفسي ، واذن في خراب بيت المقدس (25).

ومن الالفاظ التي يعدل عنها الى غيرها مجموعة
لها معان معجبة معينة فيعدل عنها الى غيرها شد
تكون ضدها في المعنى وهو ما يسمى بالعربية بباب
الاضداد الذي بحث فيه علماء اللغة واختلفت آراؤهم
فيه فبعضهم اقر وجوده وراح يذكر العلل والاسباب
والشواهد التي تبين سبب وقوع هذه الظاهرة في
بعض الالفاظ وحكمة وجودها كالاصمى وابى
عبدة والسجستاني وابن السكيت وتطرب وابن
التيبري وغيرهم (26) ومنهم من انكر وجود هذه
الظاهرة اللغوية وتاول كل الالفاظ الواردة في اللغة
العربية لينكر وجود ما يسمى بالاضداد مثل ابن
درستويه الذي ذكره السيوطي في الزهر وانه ألف
كتاب ابطال الاضداد (27) ومنهم من اعتبر الاضداد

(21) الحيوان 444/3

(22) الحيوان 445/3 ، زهر الاداب 167/2 ، بلوغ الارب 336/2

(23) الحيوان 457/3

(24) الموشى للوشاء : 175

(25) عيون الاخبار 150/1

(26) من ألف في الاضداد من القدياء محمد بن المستنير المعروف بتطرب المتوفى سنة 206 هـ وقد نشر
كتابه المستشرق برونله سنة 1900 ، وحقته هانس كونلز وطبعه ضمن مجلة اسلاميكا المجلد
الخامس سنة 1931 ونشر المستشرق اوغست هوفنر ثلاثة كتب في الاضداد هي الاضداد للاصمى
والاضداد لأبى حاتم والاضداد لابن السكيت وقد طبعت ببيروت سنة 1913 بطبعة اليسوعيين
وطبعت بطبعة الكاثوليك 1922 ، والف سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان كتاب (الاضداد)
ونشر ضمن مجموعة بتحقيق محمد حسين آل ياسين وطبع في النجف سنة 1953 ، ثم أعيد طبعه
ببغداد سنة 1963 ، والف ابو القاسم بن التبري المتوفى سنة 328 هـ كتاب الاضداد في اللغة وقد
نشر في ليون نشره المستشرق هولسا سنة 1881 ثم في 1925 ، واخيرا طبع بتحقيق
محمد ابو الفضل ابراهيم سلسلة تراث العرب - الكويت 1960 ، وقد كتب له تقي الدين عبد
التائر التميمي المصري ت 1005 هـ مختصرا لكتاب ابن التبري ، كما ألف حسن بن محمد
الصنعاني المتوفى سنة 605 هـ كتابا في الاضداد ايضا (انظر كشف الظنون ج 1/115 - 116)
الطبعة الثالثة .

بل استعمل الصفة التي ذكرناها مع أنه لم يرد بها
التناؤل في هذا الموضوع .

ويقول شاعر آخر في نفس هذا المعنى :

بِلاقي من تذكر آل ليطى

كما يلقي السليم من العداد

وقد يستعار لفظ السليم للجريح المشقي على
الهلكة والموت ، وعدم إطلاق اللفظة أو استعارتها
للجريح مطلقا توضح ما قلناه من أنها استعميرت تناؤلا
ولكي يدخلوا السرور والامل في نفس الجريح أو
ذويه إذا شعروا ان جريحهم اشفى على التلف
والهلاك وقد انشد ابن الاعرابي :
يشكو اذا شد له حزامه

شكوى سليم فريت كلامه (31)

قال وقد يكون السليم هنا اللديغ ، وسمي
موضع نيش الحية منه كلما على الاستعارة ، على
ان هناك شاهدا آخر تذكره كتب اللغة في استعارة
لفظ السليم للجريح المشفى على الهلاك وهو قول
الشاعر :

وظيري بخراق اشم كأنه

سليم رماح لم تنله الزعانف (32)

ومن هذه الالفاظ المفازة وهي اسم للصحراء الواسعة
الاطراف التي قد يتوقع فيها الهلاك والضياع واطلق
عليها بدلا من تسميتها او وصفها بالمهلكة تناؤلا لمن
يزرع السفر فيها ، وتبيننا له بالفوز والنجاة . قال
الاصمعي وابو عبيد وغيرهما : سميت مفازة على
جهة التناؤل لمن دخلها بالفوز كما قيل للاسود ابو
البيضاء وقيل للعطشان ريان (33) . على ان بعضهم
من ينكر الاضداد ويتناول الالفاظ وجه اللفظة توجيها
آخر وأنها مفعة من قول العرب قد فوز الرجل اذا
هلك (34) . وارجح ان يكون لفظ المفازة من الالفاظ

منقصة للعرب وطعنا يتهمون به اصحاب هذه اللفظة
بالتناقض وقلة البلاغة وقد ساهم ابن الانباري بانهم
من اهل البديع والزيغ والازراء بالعرب (28) . وقد
عالج هؤلاء المؤلفون الفاظ الاضداد وورودها في
اللغة والشعر وسنتناول ما يفيدنا في دلالة الالفاظ
والعدول عن معانيها التي وضعت لها اصلا الى معان
هي ضدها حقيقة ولكنهم يلجأون اليها لسبب قد يكون
تناؤلا او مجاملة وتأديبا ، أو تهريا من حرج فتبتدوا
لبعضهم وكانها اضداد للفظ نفسه ..

ومن الالفاظ التي يعدل عنها الى ضدها ما يدخل
ضمن موضوع التناؤل والامل مثل تسمية العرب
المرض بالسالم .

واللديغ بالسليم

وقد نص الاصمعي وابو عبيد وغيرهما على ان
العرب سميت المرض بالسالم واللديغ بالسليم على
جهة التناؤل بالسلامة خلافا لما يحذر عليه منه (29)
ولكي يدخلوا السرور والامل في نفسه ونفس أهله..
ثم نسي الاصل وبقي لفظ السليم « الصفة »
يطلق اسما لكل من تلدغه حية ، يقول الشاعر :

ارقت ونام عني من يلوم

ولكن لم اتم انا والهموم

كأنى من تذكرها الأتقى

اذا ما اظلم الليل البهيم

ومن تلميل رؤية لم جهم

وقد خفي مع الغور النجوم

سليم مل منه اقربوه

واسلبه الجاوز والحميم (30)

فالشاعر هنا يشبه تغلبه على فراشه ليلا ،
وارقه بسبب تذكر محبوبته بتقلب اللديغ المتألم من
اوجاع السم في جسده ، ولكنه لم يستعمل اللفظ الاصل

(27) الزهر 396/1

(28) الاضداد في اللغة لابن الانباري ص 2 . وانظر الناصبي لابن فارس ص 666

(29) عيون الاخبار 1/146 ، الاضداد للسجستاني 114 ، لسان العرب مادة (سلم)

(30) بلوغ الارب 2/338

(31) لسان العرب مادة (سلم) تاج العروس (سلم) وتناول بعضهم لفظة السليم على أنها ليست من الاضداد
وأنا هي من سلم اي انه مسلم لما به وما ذكرناه إعلاده مرجح عليه للتصويع التي ذكرناها .

(32) الصحاح ، لسان العرب ، تاج العروس مادة فوز

(33) لسان العرب (فوز)

لتي عدل بها عن ضدها تافؤلا وتيمنا ، وهو أمر شائع
بالضريبة وقد اشار اليه بعض الشعراء وهو يهجو
رجلا اسمه كثير بن ابيه ما سماه بهذا الاسم الا من
باب قلب المسيات الى اضدادها ولاته راى نفسه
تليلا عاجزا عن تعداد المناخر والامجاد ، يقول :

احب النبال حين راى كثيرا
أبوه عن اقتناء المجد عاجز
نسماه لقلته كثيرا
كتقليب المهالك بالمناوز (35)

وهناك الفاظ يعدل عنها الى اضدادها ادبيا
وحسن تخلص . فالبرص بما يوحيه من معانى الالم
في نفسية صاحبه او لما يثيره من مشاعر الاسف او
التقزز في نفسية السامعين عدل عنه العرب - في
بعض الالفاظ - الى لفظ آخر يكون به عنه .

فجديبة الابرص بن مالك بن فهم الازدي ملك
العرب نسي بالابرص الواضح (36) لانه كان ابرص
فهايت العرب ان تقول له الابرص فنكوا به عنه تهريا
من لفظة تذكره بعيبه او مرضه او ربما يشم منها لفظ
تعميسر وشتمية .

ومن هذه الالفاظ البصير للرجل الاعمى الذي فقد
بصره وقد ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم
اذهب بنا الى فلان البصير وكان اعمى .

ومن هذه الالفاظ ايضا الابيض حين تطلق على
الاسود لثلا يفهم من الوصف شتمية او عيبا ومثلها
المتع للامور ، وما يزال عامة الناس في العراق اذا
ارادوا ان يصفوا رجلا بالعمور كنوا عنه بعبارة (كريم
العين) ادبا وتهريا من سوء الفهم اذا تبادل الى الذهن
ان المتكلم قد يقصد المنتصم والعميب .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم :
العقل على المسلمين عامة ولا يترك في الاسلام

مفرح (37) . قال الاصمعي المفرح : المثل الدين ،
وتال ابو بكر بن الاباري اي يقضى دين المفرح
من بيت المال اذا لم يجد سبيلا الى قضائه ، يقال قد
امرح فلانا الدين اذا انقله قال الشاعر :

اذا أنت لم تيرح تؤدي امانة
وتحمل اخرى امرحتك الودائع

اراد انقلتك (38) ولفظ مفرح هذه يبدو أول
وهلة من الفاظ الاضداد ولكنها تبين أخلاق العرب عامة
والرسول صلى الله عليه وسلم خاصة في اختياره
اللفظ الذي يدخل السرور الى نفس الحزين اليانس ،
فالذي انقلته الديون ولم يجد سبيلا الى قضائها اوجب
الرسول صلى الله عليه وسلم قضاء دينه من بيت
المال وسماه (المفرح) اي الذي يجب ان يدخل الفرح
الى نفسه بدلا من اطلاق الصفة الحقيقية له وهى
(اليانس والحزين) فجات الكلمة ضدا للمعنى الاول
على الظاهر .

وقد اعتبر الخفاجى هذا الضرب من الالفاظ
التي يعدل عنها الى ما يخالفها من باب حسن الكناية،
واعتبره شرطا من شروط الفصاحة (39)

ونجد في الاخبار والنوادر حكايات طريفة في حسن
التخلص والكنائيات الجميلة ، من ذلك ما يحكى من ان
رجلا مر في صحن دار الرشيد ، ومعه حزمة خيزران
فقال الرشيد للفضل بن الربيع ما ذاك ؟ فقال اعروق
الرماح يا امير المؤمنين ، وكره ان يتقول الخيزران
ليرافقته اسم والدة الرشيد (40) .

ومن حسن التخلص مما قد يتشام منه ما ذكر
من ان المنصور بلغه خبر خروج محمد بن ابراهيم بن
عبد الله بن الحسن بالبصرة وهو في بستان له ببغداد
فنظر الى شجرة فقال للربيع : ما اسم هذه الشجرة؟
فقال : طاعة يا امير المؤمنين ، وكانت خلافا متفاعل
المنصور بذلك ، واعجب من ذكائه (41) . وواضح انه
عدل عن لفظ الخلاف - وهو اسم الشجرة التي

(34) بلوغ الارب 338/2

(35) تاج العروس مادة برص وقد تناول بعضهم لفظة
المقصود بالحديث النبوي هو البصير المؤمن.

(36) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير 188/3 .

(37) الاضداد في اللغة لابن الاباري 197

(38) سر النصاحة : 157

(39) الكنائيات : 53

(40) ن م .

سئل عنها - الى الطاعة لما يقترن في الذهن من اشتقاق لفظي لمعنى الخلاف مثل الذي مر بنا اول البحث .

ويروي الخفاجي حادثة طريفة تتعلق بالكنايات - وان لم تدخل ضمن الفاظ الاضداد - ولكنها تعطينا صورة عن ذوق العرب ، ودقتهم في اختيار الالفاظ المناسبة للقول قال : (وخبرني من اتق به عن رجل من اهل بغداد يضع الغزل من الذهب قال: احضرنى الوزير ابو الحسن على بن عبد العزيز المعروف بابن حاجب النعمان وزير القادر بالله ، واخرج اليّ علما مذهباً عليه اسم المنتدر بالله قد بلى ، وخلق ، وبقي فيه الذهب فقال لي : كيف السبيل الى اخذ ما على هذا من الذهب فقلت : يحرق ، فصاح صيحة عظيمة وقال : ويلك ! ما هذا التهجم ؟ اتحرق اعلام أمير المؤمنين ! وأمر باخراجه ، فدمعت وقد تارت التلغ من هيئته ، والخوف منه ، وتمقبنى اهل المجلس بالسؤال في بسط عذري بعدم الفهم لما انكره على ، فأمر باعادتي اليه ، وقال : هيه ، ما الذي تقول؟ قلت : ما يرسم سيدنا الوزير ، فقال : قل : يستخلص فقلت : يستخلص ، فقال : خذه ، وانصرف . فأخذت العلم ومضيت فأحرقته ، واحضرت له ما خرج فيه من الذهب (42) .

ومما يدخل ضمن هذه المجموعات الثلاث من الالفاظ مجموعة هي في الاصل مسميات لاشياء تؤكل او تلبس او تهدي ، ولكن دلالة الفاظها من حيث اشتقاق بعض الاعمال منها جعل بعض مرهفي الاحساس يلبسونها معاني جديدة ، لا علاقة لها بما اطلق عليها ، او لا علاقة لها بمسمياتها . وسوف نحاول ان نستقى هذه الاخبار من كتاب مهم جدا وهو كتاب الموشى او (الظرف والظرفاء) للشراء والذي يمكن ان يعد كتابا في رسم السلوك الاجتماعى لمجموعة من الناس مرهفوا بالظرفاء في زمانهم ، وقد رسم الوشاء لهم طريق الظرف او ما اعتبر في زمانهم مثال الذوق والتادب والظرف سواء في طريقة الجلوس او اللباس او في آداب الاكل والشرب او في التهادي والمجاملة ، مما يمكن ان يعم اكثر من تعميم التطير والغال الذي

اقترن ببعض الالفاظ ، وسلوك بعض الانراد ، والنفسيات المتشابهة ، اما ما ورد في كتاب الوشاء وغيره يمكن ان يعمم اكثر ليكون ظاهرة تشمل هذه المجموعة من الناس التي كان لها دورها في مجالس الادباء ، وذوي الشأن ، وهي المجموعة التي اطلق عليها اسم الظرفاء .

- - - لقد كان هؤلاء الظرفاء مرهفي الاحساس ، حادي الشعور ، يتسم سلوكهم بالادب والمجاملة ، والذوق الراقى في كلامهم مع مجالسهم ، او في مخاطبتهم ومهاراتهم مع من يحبون ، وكانوا ادباء وشعراء او ندماء اعتادوا مجالسة الادباء والشعراء وذوي الشأن .

فقد كرهوا تهادي الشقائق وهو ضرب من الورد معروف لانهم نظروا الى الحروف التي يتكون منها هذا الاسم فوجدوا ان الثلاثة الاولى منها يمكن ان تشكل لفظ الشقاء او الشقا ، كما انه يمكن تركيب لفظ الشقاق - وهو اكثر ما يخافه المحبون - ولم يشفع لهذا اللفظ كونه دالا على الورد الحزاء التي تذكر بخدود الحبيبة كما هو شأنهم مع التفاح وتهاديه . يقول الشاعر :

لا تراني طسوال دهـ

جري اهوى الشقائقا

ان يكن يشبه الخدو

د فنصف اسمه شقا (43)

واما السفرجل فانهم اشتقوا من لفظه كلمة السفر مما يوحى الى نفوسهم بالطبيعة والبعد لذا كرهوا تهاديه ، وتشاءوا منه . يقول الشاعر ، وقد اهداه بعضهم سفرجلا فرمضه قائلا :

اهدت اليه سفرجلا فتطيرا

منه وظل متيّا مستعبرا

خاف الفراق لان أول اسمه

سفر فحق له بان يتطيرا (44)

واشتقوا من لفظ (السوسن) كلمة السوء ، لذا

اعتبر بعض الشعراء اهداء السوسن تذيير سوء ، واشارة شرّ :

(41) سر الصناعة 157

(42) الموشى 173

(43) الموشى : 170 -

سوسنة اعطيتنيها وما
كنت باعطائها محسنة
شطر اسمها سوء فان جئت بالـ
آخر منها فهو سوء سنة (45)

واما المنام فانهم كرهوه ، لانه يذكرهم بالنام
والواشى الذي يكرهه صفو المحبين ، وقد تغافلوا
عن برتسيته بالنام ، وأنه ما سى به الا لان رائحته
تضوع وتنبىء منه وتغافل الطرفاء عن رائحته الزكية
ويقى لفظ النسيمة مسيطرا على اذهانهم فكرهوا
تهاديه . يقول الشاعر :

حييتها بتحية في مجلس
بتضيب نيام من الريحان
بتطيرت منه وقالت اقمه
لا تقرين مضيغ الكتمان (46)

وقد تطير بعض الطرفاء من هدية الخاتم ،
وزعموا انه يدعو الى القطيعة ، وتهاداه آخرون ،
واتاموه مقام التذكرة . فلما الذين تطيروا منه فلانهم
نهبوا لفظه الخاتبة - خاتبة الحب - وتاولوها من
اهداء الخاتم يقول الشاعر :

وما كان هذا الهجر من طول قصة
ولكن بعض المزح للمره قاتل
مرحت لعينى مرة بخواتم
لاخذه حلت علي النوازل (47)

وينشدون ايضا لشاعر كان يهزا من قول
الطرفاء باقتران الخواتم بنهاية المودة والمحبة .

ولكن حين اهدي اليه الخاتم وانتمهم على
رايهم :

اننى مرحت لم اعلم بخاتمه
فكان منه ابتداء الهجر والغضب
قد كنت ما قال اهل الظرف انكره
وكان قولهم عندي من اللعب

ان الخواتم منها قطع وصلكم
فقلت هذا لصبري غاية الكذب
حتى لبثت فكان الحق قولهم
أخذ الخواتم فيه اكثر المعطب (48)

ويذكر الوشاء سبب كراهيتهم لتهادي الخواتم
بانها اذا فقدت كانت باعث غيرة ودافع قطيعة ،
فلما من يتلقاها بالتبول والحفظ فهو آمن من المجابة
مستريح من المجابة (49) .

ومن هنا وجدنا من قبل تهادي الخواتم انهم
ابتعدوا عن المعنى الاشتقاقي للفظ ، وابتقوا له الدلالة
الاصلية لاسمه :

يقول اناس في الخواتم انها
تقطع اسباب الهوى واتقول
بان خواتيم الملاح وصوله
وخاتم من تهوى الملاح وصول (50)

وهناك طريقة تدرج في باب اشتقاق الفاظ وعبارات من
بعض المسميات وهي ان رجلا رأى في يد امرأة كانت
تأخيه خاتم ذهب فقال لها : انعمي لى خاتمك اذكرك
به ، فقلت : انه ذهب واخاف ان تذهب ، ولكن
خذ هذا العود فملك تعود (51) . وهذا الخبر وان كان
من باب الطرائف الا انه مبني على علاقة ببعض
المسميات والالفاظ بالاشتقاقات الممكنة فالذهب اسم
لمسمى معروف ، ولكن يمكن ان يشتق منه لفظ
الذهب ، وما فيه من بعد ، وكذا العود يمكن ان
يشتق من لفظه كلمة لا علاقة لها بالتسمية ذاتها وهي
العودة فيقتربن بالفرفة تيمنا برجوع من يحبون .

واذا كان الطرفاء قد اشتقوا من هذه الالفاظ
والمسميات ما يفهم منه القطيعة او الياس فانهم احبوا
بعض الاشياء ، وتنافسوا في تهاديتها لما تحمله الفاظها
من احتمال اشتقاق يفهم منه معنى المودة والدوام
والمحبة ... الخ وقد تكون هذه الاشتقاقات اقرب الى
باب الجنس المعروف بالبلاغة .

لقد مر بنا تفورهم من تهادي الشقائق لدلالة لفظ
الشقاء الذي يشتقونه منها . ولكنهم احبوا البنفسج

(47) الموشى : 165

(48) ن.م. 169

(49) ن.م. 166

(50) عيون الاخبار 202/2

(44) ن.م. 173

(45) ن.م. 174

(46) ن.م. 165

— وهو نوع من الورد أيضا — لان من يهدى اليه يستطيع ان يركب في ذهنه لفظة تدل على المودة كتول الشامر وقد اهدت اليه احدا من بنفسها فارتاح له لانه فهم منه بانها تدينه بنفسها فجانس بين البنفسج والتنس :

اهدت اليه بنفسها يسليه
تنبيه ان بنفسها تدينه
فارتاح بعد صبلة وكأبة
ورجا لحسن الظن ان تدينه (52)

واسم الرمان من الجنس اللطيف المشتق من نفس اللفظ وقد تفاعلوا به حين اشتقوا منه كلمة ان اي قرب وحل (الوصل) ومن حرفه الاول والثاني لفظة رمّ يرمّ ففهم منها بان حل المودة سيجمع ويسرم :

اهدت اليه بظرفها رمانا
تنبيه ان وصلها قد آتانا
قال الفتى ليا رآه تفاعلوا
وصل يكون متمما حياتنا
رم يسرم تشمئى بوصالها
لتعد التناول صادقا كانا (53)

ومن الجنس اللفظي الذي تفاعلوا به لان دلالاته اقتربت بالذهن بعمان تنسجم مع ما يتمنون لفظة النبيق، لانهم جانسوا بينها وبين لفظة نبقى التي يمكن ان تشتق منها . وقد روى الثعالبي بان بعض الشعراء اهدى صديقا له نبقا وكتب له :

تفاعلت بان تبقئى
فاهديت لك القبققا
نابقك اله الخلق
ما سرك ان تبقئى

واشتقى الله شانيك

وحاشاك بلان تشقى (54)
واذا كان بعض الشعراء قد كره تهادي الاس ، لانه اشتق منه لفظ الأسي (55) فان جماعة اخرى تفاعلت من تهاديه ، لانها اشتقت منه لفظ المواساة اضافة الى نظرة موضوعية لطيفة لهذا النبات وهي انه من النباتات التي تدوم مدة طويلة محافظة على خضرتها ورونتها . يقول احدهم مشتقا من لفظ الاس المواساة — مع اقراره ضمنا ما يمكن ان يوحيه لفظه من اقترانه بالياس :

ما احسن الاس في عيني واطيبه
لولا اتصال حروف الاس بالياس
ما ضر من كان اهدى الاس من يده
لو قال ريحانة يعنى بها الاس
لولا الذي اتقى من طيرتني بهما
ما فارقا ابدا تاجا على راسي (56)
وللوزير ابي عامر بن سلمة الاندلسي في جملة من النوادر :

والاس آس كاسمه
بنوره قد حسنا
وله ايضا في هدية الاس :
يا واحد الابداء والشمرء
وابن الكرام السادة النجباء
اتى بعنت مطيبا نبقته
من روض دارى دارك الفناء
من آسيه لا زلت تأسو عاطرا
وتبيد ما يمدو من الاعداء (57)
ولابى جعفر بن الابار في الاس
وآس كاسمه آس
تتبه به هلى الزمن القشيب (58)

(51) الموشى 177

(52) ن م 176

(53) احسن ما سمعت / 182 ، وانظر الموشى : 77

(54) قال ابو حنيفة : الاس بارض العرب كثير ينبت في السهل والجبل وخضرته دائمة ابدا . وقال ابن دريد : الاس هذا المشوم احسبه دخيلا غير وجاء في الشعر الفصيح كتول الهذلي (بمشخر

(55) الموشى : 180

(56) البديع في وصف الربيع : 39

(57) ن م 87

والحديث عن الآس ودلالة لفظه يذكرنا بحديثهم عن الورد وكيف ان بعضهم كره تهاديبها لانها ترمز الى تصر عمر المودة لقلتها وقصر عمرها وفضل عليها الآس لدوام خضرته ، واستمرارها طول العام . قال بعض الشعراء وقد اهدت اليه جارية آسا :
والآس ييتى وان طال الزمان به

والورد يفتى ولا ييتى على الزمن
ثم اهدت له وردا فتطير منه وقال :
انت ورد وبتقاء الو
رد شهر لا شهونور
يذهب السورد ويفنى
والسى الآس نصير
فكتب اليه بعض اخوانه في هذا :
سر بالآس الذي اهدت له
ثم لما اهدت السورد جزع
ذاك ان الآس باق دائما
ولان الورد حينما ينقطع (59)

واذا كانت المفاضلة بين الورد والآس هي احدى سمات الشرف وغضارة العيش في العصر العباسى فانها ايضا مما علق بذاكرة الفرس - اذا صح ما تاله الجاحظ من أنهم يحبون الآس ، ويكرهون الورد ، لان الورد لا يدوم والآس يدوم (60) .

ويهنا من هذه المفاضلة الطريفة ما اشتقه بعضهم من لفظ الورد من تعبير مقترن بمعنى يدخل السرور الى نفسه مفرح بتهاديبه الورد دون النظر الى طبيعته وكون لبثه تصيرا لانه اشتق منه لفظ الورد :

اهدى له وردا فاخبر انه
في الواردين ولم يكن ورادا

سارتاح من فرح بطيب وموده
وغدا له ورد الحياء فزادا (61)

ونجد في رسالة لابی عثمان سعيد بن فرج الجياتسى في الرد على ابن الرومى في تفضيله البهار على الورد اشتقاق كلمتى الود والرد من الورد اما النرجس فاخره رجس ، ولا يهيه بعد ذلك ان كان الورد قليل اللبث او طويله لان خيار الخلق في الدنيا هم الفاتون :

اسم الذي فضلت ان فتشته
وخرمت اوله فرجيس راكد
والورد كيف خرمته وخبنته
ود نود به ورد عائد
ودع ألقاء فما ترى من جيلة
الا وافضلها يكون البائد
يفنى خيار الخلق في الدنيا وما
شئ سوى ابليس فيها خالد (62)

واخيرا نقول بان الطائفة الاخيرة من الالفاظ التي نكرنا بانها تترك اثرا في الاذهان لما توحيه من دلالة معنية مرتبطة باحدى اشتقاقاتها تمثل موقفا خاصا بالادباء والشعراء ، او فلنقتل في مجالس المترفين الذين اتخفوا من ايسر وسائل الترف - وهى الهدايا - مادة طريفة للحديث والمؤانسة ، وان عكست لنا من جانب آخر المثل السلوكية لهذه الطائفة من الناس المسماة بالظرفاء . وتبقى الظاهرة اللغوية العامة في اقتران بعض الالفاظ بمعان بعيدة من اصل مسمياتها لان في بعض اشتقاقاتها معان تنسجم مع نفسية المتكلم شرا او خيرا ، وتصبغ بالتالى تفكيرهم وهواجسهم او سلوكهم الاجتماعى تبعا لطبيعية المواقف ومدى رهابة احساس بعض الناس اكثر من غيرهم .

- (58) الموشى : 180
(59) الحيوان 458/3 وانظر البيان والتبيين 247/3 في استعمال الريخان للتظرف
(60) الموشى : 177
(61) البيهقي في وصف الربيع : 70

قائمة المصادر والمراجع

البيان والتبيين

احسن ما سمعت

الثعالبي / ابن منصور عبد الملك (429 هـ)
تصحيح محمد افندي صادق . القاهرة ، مطبعة
الجمهور 1324 هـ .

لاضداد

الاصمعي ، عبد الملك بن قريب (ت 196 هـ)
تحقيق أوغست هنر . بيروت ، المطبعة
الكاثوليكية 1922

الاضداد

السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد
(255 هـ)

تحقيق د. أوغست هنر . بيروت ، المطبعة
الكاثوليكية 1922 .

الاضداد في اللغة

أبو بكر بن الأنباري محمد بن القاسم 322 هـ
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الكويت 1960
البديع في وصف الربيع

الحميري ، أبو الوليد ، اسماعيل بن عامر
الحميري — 440 هـ

تحقيق هنري بيريس 1940 م — 1359 هـ

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب

الألوسي / محمد شكري

تحقيق محمد بهجت الأثري . مطابع دار الكتاب
العربي . مصر 1342 هـ

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255 هـ)

تحقيق عبد السلام محمد هارون 1948 —
1950 ، والطبعة الثانية في سنة 1960 ،
1961 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

تاج العروس من جواهر القاموس

الزبيدي ، محيي الدين ، أبو الفيض مرتضى
الصينى (1205 هـ)
المطبعة الخيرية ، جمالية مصر 1306 .

التعابير القرآنية والبيئة العربية

أبتسام مرهون الصفار
التنجف ، مطبعة الآداب 1968 .

الحماسة

ابن الشجري ، ضياء الدين ، هبة الله بن علي بن
محمد (542 هـ)

مطبعة دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد —
الدكن 1345 .

الحماسة البصرية

البصري ، صدر الدين بن أبي الفرج بن
الحسن (659 هـ)

تصحيح مختار الدين أحمد ، مطبعة دائرة
المعارف العثمانية . حيدر آباد الدكن 1964

الحيوان

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255 هـ)
تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة
مصطفى البابي الحلبي 1945/1938 .

ديوان جميل (ثينة)

جمع وتحقيق د. حسين محمد نصار
القاهرة ، مكتبة مصر

ديوان الحطيئة

شرح ابن السكيت والسكري ، والسجستاني
تحقيق نعمان امين طه ، مصر ، مطبعة مصطفى
البابى الحلبي

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات

تحقيق محمد يوسف نجم
بيروت ، دار صادر 1958

زهر الآداب

الحمري ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي (451 هـ)

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، وشرح
زكي مبارك . مصر، مطبعة السعادة. 1903

الزينة في الكلمات العربية الاسلامية

الرازي ، ابو حاتم احمد بن حمدان (ت 322 هـ)
تحقيق محمد حسين بن فيض الله الهيداني.
القاهرة ، دار الكتاب العربي 1957

سر الفصاحة

الخفاجي ، ابن سنان ، ابو عبد الله بن
محمد بن سعيد 464 هـ
تحقيق علي فودة ، المطبعة الرحمانية مصر
1932

شعر ذي الرمة

تحقيق كارليل هنري هيس مكارثي
كيندن 1919 م /- 1337 هـ

الصاحبي في فقه اللغة

ابن فارس ، ابو الحسين احمد (395 هـ)
القاهرة ، مطبعة المؤيد 1328 هـ

المصاحح

الجوهري ، اسماعيل بن حماد (393 هـ)
تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، مصر دار
الكتاب العربي 1956 م / 1957 م

عيون الاخبار

ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (276 هـ)
القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية 1925 .

الكتابات

الجرجاني ، ابو العباس احمد بن محمد -
482 هـ

لسان العرب

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (711 هـ)
بولاق ، المطبعة الاميرية 1301 هـ

المزهر في علوم اللغة

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ)
تحقيق محمد حمد جاد المولى ، محمد ابو الفضل
ابراهيم - القاهرة ، دار احياء الكتب العربية.

المعاني الكبير

ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (276 هـ)
حيدر آباد الدكن 1949 .

الموشى او الطرف والظرفاء

الوشاء ، ابو الطيب محمد بن اسماعيل 325 هـ
تحقيق كمال مصطفى - الطبعة الثانية 1953م
1372/ هـ

نثار الازهار في الليل والنهار

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم 711 هـ

النهاية في غريب الحديث

ابن الاثير ، ضياء الدين ابو الفتح نصر الله
بن محمد 637 هـ

مَشَاكِلُ وَمَعْوَقَاتُ التَّعْرِيبِ (*)

الدكتور محمود محمد الحبيب
أستاذ بكلية الإدارة والاقتصاد
جامعة البصرة - العراق

أخرى لتجد المصطلحات وغيرها سبيلها الى دنيا الجامعات والمؤسسات والقطاعات الانتاجية والخدمية. عندما نتحدث عن التعريب فليس معنى ذلك اننا ننشد البديل للفتنا ، بل معناه اقتناص المتم والمساعد لبعض جوانب التصور في العربية .. ان واجبا الرئيسي ومسؤوليتنا التاريخية « تأصيل لفتنا العربية » في جميع المستويات العلمية التخصصية الثقافية والفنية والتعليمية والادبية ، محليا ، وقطريا ، وقوميا ، بل دوليا . إن قضية « تأصيل العلوم والتقنية بدورها لا تكون الا بلغتنا القومية . وكما قال عاقل فإن أي خطر يهدد اللغة هو خطر يهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط أجيالها . . . وفي رأيي فان « التبعية الثقافية » كلفيان اللغة الفرنسية لو الإنكليزية في منطقتين كالمغرب العربي من جهة والقارة الهندية من جهة أخرى قضية كانت ولم تزل أمتى وامرًا واثدًا فتكأ من الاستعمارين السياسى

يواجه التعريب — وخاصة التعريب لاغراض التعليم العالي على صعيد الوطن العربي — مشاكل ومعوقات لا يمكن الاستهانة بها او مز الكتئين امامها بدون مبالاة ، اذ انه يتوقف على مبلغ حصرها وتذليلها وازاحتها عن طريق التعريب ضمان لنجاح العملية في مرحلتها الاولى ، وأقصد المضى في مخططات التعريب مرحليا ، فالمسألة ليست اكداسا من كتب تُطرح ، وقوائم مصطلحات في شتى التخصصات تُقَدَّم وتُنجز ، ومنتفس السعداء . إن العلم في تقدم مستمر ، والمصطلحات تتواءم بسرعة إلينا ، أو إنا علينا أن نسرع اليها وأن نستوردها بمختلف الوسائل والترقيبات والاتفاقيات العلمية والثقافية والتجارية - وعليه فهمة التعريب عملية متواصلة وشاقة ومستمرة مع الحياة المتحركة . . . ولعل الجانب الأثسق نسى عملية التعريب هو التنفيذ الدؤوب من جهة ، وتعميم المنجزات من جهة

(*) القسم الثالث من بحث بعنوان « عملية التعريب : الاساليب والمشاكل والحلول » مقدم الى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي المنعقد في آذار 1978 في بغداد .

والاقتصادي لأنها هدفت الى مسخ وتشويه المواطن من الداخل .. وهكذا كان هذا اللون من التبعيات من اخطر الالوان المقيتة التي منيت بها دول العالم الثالث .

انسى ، اذن ، لا اتكلم عن بديل ، ولكن من « انفتاح » على المعارف والعلوم والحضارة الانسانية، لان الانفتاح ضرورة ليس لها ثمة بديل ، بل ان اسقاطها يعنى الجمود والتخلف وبالتالي الوقوع ثانية في مصيدة التبعية الاقتصادية والتبعية السياسية. والانفتاح يقفد جسرين لا حين هما الترجمة والتعريب. وهما خطان تستخدمهما دول كبرى كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واليابان .. الخ

لا مرأ ان العربية تعثرت جدا امام التطور الهائل في العلم والتكنولوجيا ، أسوء بكثير من اللغات العالمية . ونحن نفتقد المصادر العلمية العربية الكاملة في شتى التخصصات والمعارف لاغراض التدريس الجامعي من جهة ، ولأن المصطلحات المتداولة في كتبنا تتضارب وفق أهواء المترجمين والمربين والمؤلفين والباحثين ، فلا ندري أيها الصحيح . ويزيد الطين بلة عدم توحيد المناهج الدراسية بين الكليات والاقسام في القطر الواحد ، ناهيك القول بين الجامعات العربية من المحيط الى الخليج . ويضيف الباحثون مشكلة صعوبة اللغة العربية نفسها من زوايا القواعد والكتابة والاملاء ، وعدم اهتمام العرب بنشر لغتهم في الدول الاسلامية غير العربية. والشق الاخير من العتسب أو الدعسوة قضية صعبة ، نمهتنا المباشرة ارساء العربية في مفرنا العربي .. واذا نجحنا في اكتساح الفرنسية من مدارس وجامعاته ودواوينه واحيائه ، فربما التقطنا الاتناس للتجربة الامم : عالم المسلمين . لنحاول في هذا القسم من البحث لقاء بعض الاضواء على مشاكل ومعوقات التعريب ، التعريب الذي ننشده لرفد العربية علميا لتواكب الطفرة التكنية والطمية .

● نماذج من مشاكل التعريب

(1) لن ادعى انسى رائد في كشف المجهول ، بل انى اعود الى اساتيدي الباحثين ، مضافا الى ذلك خبرتسى في التعليم الجامعي على امتداد ثمانسى عشرة سنة . ومن ناحية اخرى فكلنا يستطيع وضع قائمة تصيرة او مطولة بمشاكل التعريب ومعوقاته ، ولن اعجب اذا اتفقت التسميات والتشخيصات في حدود سيمين بالمائة منها ... وفي استفتاء قام به مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (الرباط) وتحت عنوان :

« صلاحية اللغة العربية للتعليم الجامعي »
فقد خلص الى فرز مشاكل رئيسة هي : (1)

- تخلف الدول العربية العلمي والحضاري .
- صعوبة اللغة العربية من حيث القواعد والكتابة
- اهمال الدول العربية نشر اللسفة في الخارج وخاصة في الدول الاسلامية غير العربية .
- وجود لهجات اقلينية مختلفة تضايق النصسى .
- انعدام الطرق والوسائل الصالحة لتعليم اللغة العربية للابناء .
- عدم تشجيع الابتكار العلمي والتاليف باللسفة العربية في مختلف فروع العلم .
- عدم تحقيق الوحدة الثقافية بتوحيد المناهج والكتب الدراسية وايجاد مجمع عربى لغوى وعلمى موحد .
- التيارات الاستعمارية المضادة لتعليم اللسفة العربية .

ومع هذا فقد وجد المكتب أن غالبية الذين أجابوا على الاستفتاء اتفقوا على ان العربية صالحة لتدريس العلوم الانسانية في التعليم الجامعي العالى ، وصالحة ايضا بالنسبة للعلوم الحديثة البحتة والتطبيقية ، شريطة ان تدعم بلغة اجنبية في التدريس .

وتتفجر المشكلة ، مشكلة العلوم - هندسة ، طب ، صيدلة ، رياضيات ، فيزياء ، كيمياء ، حياتية ، نسلجة ... الخ - في احضان السادة اعضاء الهيئة التدريسية في جامعاتنا في محاضراتهم و مناقشاتهم ومخابرهم التطبيقية والامتحانات وابحاثهم النظرية والعملية ، وما يصدق على القطر العراتى ينسحب على اقطار اخرى في وطننا الكبير . وتتميز جامعاتنا في المغرب العربي بعمق المشكلة وضخامتها اذا تذكرنا ان اللسفة الفرنسية لا تزال مستاسدة في الحياة العامة والكثير من اجهزة الدولة والمدارس والجامعات الا ما ندر ، ولو ان خطوات جبارة لنشر العربية قد اتخذت وقطعت شوطاً مرحلياً جيداً .

(2) يعانى الاساتذة الجامعيون من مشاكل طويلة ومتفرعة كثيرة يمكن تكثيف اهمها كنباذج تتطلب الحل السريع (2) يشكو الاساتذة قلة المراجع العملية والكتب الدراسية العربية في كثير من الموضوعات العلمية والمواد التى تدرس فى الكليات العلمية وفى مقدمتها ، الكتب الطبية والصيدلانية والهندسية والكيميائية والفيزيائية

متزايدة ليس في صميمه فقط ، بل أخرى نقلت اليه من علوم ثانية كعلم الاحياء والرياضيات والكهرباء والميكانيك .. ان وجه الصعوبة يتبلور في ان هذه القضايا قد ذلت في الغرب عن طريق تنشيط حركة الابتكار والتخصيص والاستعارة في اللغة بالنسبة للمصطلحات الفنية ، وتم توحيدها بين أبناء اللغة الواحدة وحتى بين أبناء اللغات المتعددة كالسناطقين بالفرنسية او الانكليزية « . لما عندنا في الوطن العربي ليس ثمة تطور في هذا السبيل . ويقول « ظل الاقتصاديون على حالهم قانعين بالاجتهادات الشخصية ، او مكتفين بتريديد المصطلحات الاجنبية كما وردت في لغاتها الاصلية . كما ظلت المحافل اللغوية بعيدة عن التصدي لهذه القضية الحيوية » (5)

وكاقتصادي، مهنيا ، فانى اتر وأعترف بان شكوى اباظه صادقة وعميقة فالاقتصاديون في حيرة ومناهة ، ولا يزالون يركضون وراء المصطلحات غير الموحدة ويعملون بوحى من اجتهاد شخصي (6) .

وينطلق صوت مقاليد للدكتور شكرى فيصل ويبينى حكمه على واقع معاش وتجربة يراها قد نجحت ليس بالنسبة للعلوم الاجتماعية والانسانية وحسب ، بل ايضا في جميع العلوم الصرفة ومنها الطب . وحديثه يتناول تجربة الجامعات السورية التي استكملت فروع المعرفة العلمية كلها اذ يفضي تدريسها باللغة العربية في جميع المراحل الدراسية بها فيها الجامعية وفي كل المواد ، وفي مرحلة التأليف ومرحلة الابداع والبحث العلمى ، ويتهم المتقولين بعقم اللغة وتصورها في هذه المجالات ، ويصف زعمهم بان « حلقة في سلسلة من مظاهر الغزو الفكرى هدهنا التشكيك والتخويف والشلل » (7) وحول مشكلة التعريب تحدث الدكتور جبرار تروبو ، المستشرق الفرنسى ، في اسبوع الصداقة الفرنسية - الاسلامية في باريس (كانون الاول / ديسمبر 1977) مؤكدا على ان العربية كانت لغة العلوم بجدارة في العصور الوسطى ، ونقلت الى العالم الغربى خلاصة الحضارة الانسانية وبواسطتها تعرف العالم على علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والهندسة وغيرها من العلوم ، ثم تعثرت بعد

والرياضيات العالية .. الخ. ويعانون من نقض في المصطلحات العلمية المعربة ، وان وجدت فليس ثمة اتفاق على مصطلح موحد . ويصدق هذا على مصطلحات تقنية ايضا ، ويشخص هؤلاء ظاهرة مستشرية هي التباين في طبيعة المصطلحات في الدول العربية بشكل اشبه بنوضى دائمة .. ويمتبون ايضا على توصير الكثير من الجامعات في ميدان التخصص العلمى الدقيق ، فغالبيتها اصبحت كمصانع الانتاج الكبير تهدف الى تخريج جموع ضخمة ضعيفة المستوى . وقد عمق هذا الجانب انعدام التعاون بين الجامعات العربية ، وبين الجامعات في داخل القطر نفسه على اختيار المناهج والمواد الدراسية وتوحيد المفردات وتطويرها الدائم، والاتفاق على الكتب الدراسية والمراجع - وظاهرة اخرى اصبحت مستشرية ، هي ضعف وجهد غالبية الاساتذة (خاصة في الكليات العلمية) بلغتهم العربية نحواً وصرفاً واملاءً .

(3) لما كان المصطلح العلمى (وهو قضية تشكل قلب مشكلة التعريب ولهذا أفرد لها مؤتمرا الحالى ثلاثة موضوعات مستقلة) (3) يشكل عقبة ، فماذا تفجر العقبة بدورها من مشاكل ؟ اذا كان اساتذة العلوم الصرفة والتطبيقية والتقنية والطبية يحسون بضخامة الصعوبات التى يواجهونها يوميا في ايجاد مصطلحات علمية موحدة ، وانتقاء اخرى جديدة مواكبة لما يستجد امامهم باستمرار ، فهذا احساس مفهوم وشكوى نفهمها ايضا .. ولكن الادهى ان عين الشكوى بتنا نسعها من الكثير من اساتذة العلوم الاجتماعية والانسانية . وهذا زميل باحث عالج قضية اللغة العربية ومدى طواعيتها للعلوم الاقتصادية سيما بعد ان زحف هذا العلم ليستوعب لغة الاحصاء والرياضيات القياسية والنماذج ، فيؤكد لنا على أن من أخطر المشاكل التى تعترض الباحث العربى في ميادين العلوم الاجتماعية هي ما أسماه القدرة على الاستيعاب والتعبير بالالفاظ والمصطلحات العربية .

وعندما تُصاب بالدهشة لقول كهذا فان الدكتور ابراهيم اباظه يوضح مثلاً بان « علم الاقتصاد (4) يعتبر من أسرع علوم العصر تطورا ، وأكثرها استخداما لمصطلحات فنية

بنظرها (11) . علاوة على ما مر ، نكلنا يعلم ان المشكلات التي تواجه العربية والتي تتطلب دراسة جادة تمتد الى امور اخرى لعل في مقدمتها :

- 1 - مشكلة نحو اللغة وصرنها
- 2 - مشكلة المصطلحات العلمية في مختلف التخصصات .
- 3 - مشكلة رقم اللغة او الاملاء
- 4 - مشكلة معاجم اللغة وآدابها ..

هذه مجرد نماذج ساتها الباحث ، ويمكننا ان نضيف الى القائمة في ضوء استنتاجات نستلها من واقع التعليم الجامعي وحركة التأليف والترجمة ومتاعب اعداد البحوث الصرفية والتطبيقية ... الخ

● فوضى حادة على جبهة التعريب

خلال سنوات طويلة من البحث الذي قام به المختصون في اللغة والمجامع ، فقد توصلوا الى قناعة هي اننا ، على صعيد الوطن العربي ، نواجه مشكلة رئيسة استطاع السلف البعيد ان يخضعها الى تخطيط عقلاني ، ومنهجية دقيقة ، فتجنبوا مزالقها ومتاعبها .. ويمكن تسمية المشكلة دون مغالاة بـ « فوضى التعريب » وعدم انسيابه بشكل موحد.. ولعل التشخيص الدقيق لأسباب هذه الفوضى ، حسبنا أعلم من مطالعاتي ، هو ما وصل اليه مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (الرباط) وهو (12):

- (1) تفاوت القدرة اللغوية بين العربيين فتفاوتنا بمسيدا جدا بحيث ترى الاستاذ القادم من الغرب ممتلنا علما ومعرفة ، وهو يجهل اللغة العربية أحيانا لانه صرف كل وقته للعلم لا للغة ، وترى الى جانبه الاستاذ القدير باللغة العربية وهو يجهل العلم الحديث ، بينما المصطلحات العلمية تتوالى على ساحة الفكر العلمي بواقع حوالي خمسين مصطلحا جديدا كل يوم . وكلا هذين الطرفين كان يعمل لوحده ، ونادرا جدا منهم من جمع المرفتين العلمية واللغوية .

- (2) اختلاف المؤثر اللغوي الاجنبي في البلاد العربية انتج اختلافا في المفاهيم والتقل والترجمة والتعبير .

هجمات المغول ، الى ان جاءت الثورة الصناعية في عصور النهضة الحديثة وأصبحت هذه اللغة أمام آلاف من المصطلحات التي لم تعرفها من قبل . وأصبح العرب أمام خيارين : إما استمارة المصطلح الاجنبي بلفظه ، وإما ايجاد لفظة عربية من داخل اللغة نفسها .. ثم يطرح المستشرق سؤالا : هل يمكن للعربية ان تخلق اللفاظ العربية لكل هذه المصطلحات الاجنبية ؟ انه يجيب ، وهو العارف اذ يلقب في فرنسا بلقب سيويه الاستشراق ، نعم .. يمكنها ذلك ، وبواسطة الإشتقاق ، هذه الخاصية المهمة التي تتميز بها اللغة العربية (8).

وعلى عين الخط دعا المهندس حتي اذ قال : لدينا سلاحان مهمان لوضع المصطلحات لاغراض التعريب وهما : تأثير الحركات ، ثم الاوزان ودقتها في اللغة. (9)

وأعود الى البرونسور تروبو .. لقد أبان في محاضراته في باريس ان العربية تأقلمت دائما مع العلوم في تاريخها الطويل .. تأقلمت مع اليونانية ومع السريانية . ويقول الباحثان جيمس بيطار وحبيب سلوم ان العربية امتدت اللغة الانكليزية بتسمائة وسبعة وثلاثين مصطلحا علميا لا تزال مستخدمة في صميم تلك اللغة (10) . وهكذا استطاعت العربية ايجاد مئات من المصطلحات في مئات الميادين ، ومن داخلها ، وبرهنت على تدرية الإبداع التي تتطلى بها .

ان المشكلة ، كما يرى تروبو وغيره ، قد حلت في الماضي ، فلماذا لا تحل اليوم ؟ ثمة تخوف بيديه باحث عندما يطرح المشكلة بشكل محسوس ومستقى من الواقع . ان تخوف الدكتور خليفة ناجم عن ظهور وانتشار ما دعاه بـ « عدة لغات علمية عربية » .

ويشرح كالتالي : وضعت منظمة اليونسكو كتابا في الرياضيات الحديثة للمعلم العربي بلغة اجنبية ، ثم تُرجم الكتاب ولكنه جاء بخمس ترجمات او لغات علمية عربية جنسى الان ، فهناك الترجمة المصرية ، والترجمة العراقية والترجمة السورية ، والترجمة الأردنية ، والترجمة الكويتية . وكل ترجمة تستعمل رموزا ومصطلحات تختلف عن ما استعملته الترجمات الاخرى ، بحجة ان اجتهادها هو الصائب

(3) اختلاف المناهج في التعبير والتعريب ما بين الجامعات العربية والمجامع اللغوية والانتصادات العلمية والمنظمات . فبعضها يترجم معنى المصطلح ترجمة يرجع في اختيارها الى المعاجم اللغوية العربية ، او الى الوضع والتوليد ، وبعضها يعرّب المصطلح تعريبا ، اي يبقيه على ما نطق به في أصل لغته ، مع بعض التحوير ليصاغ على وزن صرعى مقبول في حدود الامكان .

(4) تدفق المقالات الصحفية العلمية والشبهية العلمية ، وفيها الكثير من المصطلحات المستحدثة ارتجلها الصحفيون لعامل السرعة ارتجالا ، فوفق بعضهم وأخفق البعض الآخر... وقد يظهر للمصطلح الواحد اكثر من ترجمة في بلدين مختلفين بل وفي صحيفتين من البلد نفسه .. والجماهير تقرا لهذا وذاك ، فتتأثر فئة بهذا ، وفئة بالآخر ، وتزداد الشقة اتساعا مع الايام ، وتنمو الاجيال في هذا الجو الفوضوي ولا تعرف كيف تتفق .

(5) فوضى التاليف المدرسى والجامعى حين يصوغ كل مدرس او استاذ مرادفا عربيا للمصطلح يتساقق ومقدرته اللغوية او معرفته العلمية ، فتظهر في البلد الواحد كتب مختلفة المصطلحات في مؤلفات بموضوع واحد .

لم تستطع الحكومات العربية السيطرة على فوضى التعريب الا في وقت متأخر ، وفي ضمن حدود معينة اذ لا يمكن القول انها نجحت كليا في المهمة . ولم تجبه المشكلة السلف بهذا العمق ، اذ يشير جبرار تروبو ، مثلا ، الى ان الماضى تميز بسلطة واحدة مركزها بغداد ، وهذا يعنى ان شخصا واحدا كان يحكم في عمل الترجمات ، وفي مصيرها ، وكان يؤخذ بها بسهولة تقيدا بتوجيهات القيادة السياسية الحاكمة .. هذا التقيد هو ما ندعوه في مؤتمرا بقضية «الالتزام» ومدى انحرافنا عنه في الاخذ بها تم تعريبه من مصطلحات علمية .

وينبه المستشرق الى ما سبق ان اشرنا اليه ، فيوضح ان الحاضر قد كشف عن امر مؤسف حقا فان مراكز التعريب كثيرة، ومختلفة الهوية، وهى على كثرتها لا تدفع بالمجلة الى الامام، كما كان يتوقع منها ، بل اخذت كل دولة تعرب

على حدة ، وتنشئ مفرداتها وحدها . وهذه المفردات التى لا توافقها عليها الدول الاخرى، اذ تعتبر كل دولة نفسها قيمة على اللغة ، والوحيدة التى تمتلك زمام امورها . والنتيجة ، الى أين ؟

هذه الفوضى الفردية والجماعية والحكومية على ساحة التعريب العلمى في بلداننا العربية دعت، في ضوء ضغط الواقع الموضوعى ، غالبية العلماء والباحثين والمؤلفين والجامعيين العرب ، والذين استخدموا مصطلحات علمية في كتاباتهم وابحاثهم ومحاضراتهم الى اثبات المصطلح الاجنبى أولا ، ثم المصطلح العربى ، لان للجامع اللغوية العلمية الاربعة في بلداننا العربية قد اخرجت ولا تزال تخرج الكثير من المصطلحات التى لا يتم الاتناق عليها ما بين الجميع ، فلكل مجمع رايه الخاص! وصيحة تحذير من المستشرق الفرنسى تروبو : « يتوجب على العرب ، وبأسرع وقت ان يوحدوا هذه الترجمات .. وانبيهم الى انهم ان لم يفعلوا ذلك ، فان زمام العلوم سيفلت من ايديهم » (13).

● معنى التثخيفات : غياب الالتزام

نستخلص مما قيل ، ومن محسوى التثخيفات السريرية التى قام بها مكتب تسسيق التعريب ، آتفة الذكرا ان الاضواء قد سلطت على قضية « المصطلح العلمى » وكيف انها لم تنل الا القليل من جانب « التنفيذ » والكثير الاعم من جانب « عدم الالتزام » رغم العناية المبذولة في الاعداد ، والدراسات ، والتوصيات ، والقرارات ، اذ ان مهمة مؤتمر التعريب الاول والثانى كانت قضية «توحيد المصطلح العربى» .

إن غياب الالتزام بالمصطلحات السلمية في الجامعات والمعاهد والمدارس العربية ، وعلى أصدده المعاجم والمراجع والدراسات ، وفي دنيا التاليف والترجمة ، قد مَوّت فرصة ثمينة ، وبدد الجهود التى بذلها المختصون في هذه الشؤون. (14) ليست هذه كل الصورة ، فهناك باحثون يرون رايأ آخر ، فالدكتور جميل الملائكة (يمثل صوتا) مثلا يرى ضرورة الإبقاء على رموز ، وأرقام ، ومعادلات ، وعدم ترجمتها الى العربية فنتبقى على الاصل . وحجته انها أصبحت عالية كما هى ، او شبه عالية . ويعتقد ان من المستحسن الإبقاء عليها كما هى ، نهى لا تختلف في لغات كالفرنسية

والانكليزية والالمانية ، ويرمز لها بحروف لاتينية متفق عليها دوليا . (15)

وقد وصف الكاتب ما اثير حول المصطلحات الفنية وضرورة ترجمتها بانها ضجة مفتعلة ، وحجة واهية .. والسبب كما يقول « المصطلحات واللغة وسيلة لا غاية ، والمهم هو الاستعمال .. والعلماء والمتخصصون والمؤلفون والمترجمون هم الذين يصوغون المصطلحات بحسب الحاجة العلمية اليها » . ونحن لا ننكر ان هذا الرأي قد يكون صائبا ، ولكن الزميل الفاضل قد تلل من آثار وعمق فوضى التعريب السائدة وهي أساس المشكلة اذ هل يترك الحبل على الغارب فلعل من اثار اليهم رايه وتقويمه الخاص في صياغة المصطلح العريسي في وقت نشد فيه توحيد هذه المصطلحات في مختلف التخصصات ؟ ان عمق المشكلة سحيق اذ باعتراف الدكتور الملائكة « ان المتوفر في العربية من المصطلحات العربية في العلوم الحديثة يزيد على 100 ألف مصطلح » وهذا دونما ريب اثناء وثروة ، ولكنها تحتاج الى التوحيد والتبويب وسلامة التطبيق بعد اجراء غريلة موضوعية مما كان كل قديم بسهل وصالح ، ولم تكن تكنولوجيا وعلوم الحاضر قد ولدت بعد ، فعالمنا في تبدل .. وآمل ان لا يكون الزميل واقفا موقف المتصلب ففيه كما لمسنا في الصفحة السابقة التفاتة قوية الى تطبيق متطلبات العصر — الرموز والمعادلات — بقدر غيرته على التراث .

وهناك ، بهذا الصدد ، رأي للدكتور محمد عبد اللطيف مطلب فهو يؤمن بانه لا ضير ، ونحن في خضم حركة التعريب ، ان نقول بكلمات مثل « إلكترون ويزتون ، وراديو ، وترانسستر .. الخ » بدون تردد ، فذلك لن يلحق ضررا بالعربية .. كما انه لا يحذ بعث الحياة بكلمات قديمة محنطة ، فهذا ، في رايه ، تضيق على اللغة العربية وبالتالي اعاقته لتجاوبها مع تطور الحياة (16) .

● نظرة ائق في عوائق التعريب

التعريب بالمعنى المفهوم هو محاولتنا نقل كلمات او مصطلحات علمية وتقنية .. الخ . الى العربية بعد ان نحورها بشكل يتلاءم والنطق العريسي . وفي زخم حركة التعريب الكبرى التي قام بها العرب الاوائل فقد نجحوا على الصعيدين : الترجمة والتعريب . وفي كتب الاعلام العلماء من العرب شواهد ناضجة لكلمات مؤتملة للعربية واصبحت بعد

الاستعمال وكانها جزء من نسيج اللغة العربية نفسها . لقد افلح السلف في قولهم أسطراب لالة الفلكية المعروفة ، وأسطرونوميا للفلك ، وجيومطريتا للهندسة ، وأماطيقا للحساب ، ولم يروا بأسا في ذلك . وعملت شعوب اوربية عين الشيء حين نقلت من علوم العرب نلقت على مصطلحات عربية كما هي ، او حورتها قليلا .. وفي وقتنا الحاضر تتم عملية النقل في عين المسار . وتنتقل المعرفة الانسانية كحزمة ضوء .

نخلص الى نتيجة معروفة يؤمن بها عدد ضخم من المختصين والمربين ومسؤولي فلسفات وسياسات التعليم العالي ، هي حتمية انتهاج مخطط للتعريب للحاق بمسيرة الدول المتقدمة والطفرة التكنولوجية . هذا شيء جميل ، ولكنه ينخر في هذه الحتمية ومخططها اكثر من عامل معرقل ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .. والتعريب بحد ذاته ليس بدعة جديدة فهو قديم منذ القرن السابع الميلادي في اقطارنا .. اما حديثنا المعاصر منه فربما يعود الى اواخر القرن التاسع عشر ، ولربما الى العشرينات من هذا القرن اذا راقبنا التيار المتدفق بقوة .. ائق ، فنحسن في الحقيقة نتحدث عن مطبات التعريب ، عن مده وجزره وعن عمق بحيرته .. نتحدث عن عدد صغير او كبير من العوامل التي تشده الى الوراء وتعمق مسيرته الى الامام .

وتعجبنى خاطرة لباحث تهنيت لو أنني اهتديت اليها في احدى تجليات الذهن . الخاطرة للدكتور شكري نيمل حين كتب :

« ان تكرار الحديث في الموضوع الواحد ، ومعاودة طرحه وخاصة عندما يكون موضوعا ناضجا هو أول العوائق والذي يعترض حركة التعريب ، ويعرضها لشيء كبير من الجهد المضاع » ويرى أيضا انه من الخير « ان تبعد حركة التعريب عن القضايا النظرية ، وان نضعها على مسار الوجهة العملية » (17) .

بعبارة اخرى ، ان نقطة البدء الجديد يجب ان تكون من حيث انتهى مؤتمر سابق ، وبالطبع ان المهم ان تكون توصياته منطقية وعلى مستوى المسؤولية العلمية .. وقد قيل ان مؤتمر التعريب الذي عقد في الجزائر في عام 1973 قد تحمل بعين هذه الفكرة اذ قد بدأ من نقطة بحث انتهى اليها مؤتمر التعريب السابق ، ثم تحرك عمليا الى اقرار مصطلحات علمية

حجة في أيدي خصوم التعريب ، ثم تتسرب الحجة إلى السنة بعض القائمين على الجامعات العربية . لقد سمع الباحث في جلسة عامة مسؤولا جامعا يقول أثناء الحديث عن التعريب « أعطوني مصطلحا موحدا وأنا ممتن في ان اشيع استعماله في جامعاتنا » .

وخطورة أخرى ، يراها الباحث ، وهي ان المصطلحات العربية متباينة ومتخاربة على نطاق الوطن العربي ونطاق القطر الواحد ، بل وبين أقسام الكليات في جامعة واحدة . ولعل التباين في معاجم الطب برهان لا يحتاج الى ايضاح .

ب - عدم الأخذ بالمنهجية في التعريب ، او عدم وجودها في بعض مجالات المصطلح اذ ان ذلك يضيف الى قضية التشتت زحما نيسه هدر فاضح للجهود والوقت والاموال .

ما دور المنهجية ؟ نحتاجها ، كما يقول ، في مراحل كثيرة من مراحل التعريب ، مثلا : 1 - مواجهة بين اختلاف اللغات الاجنبية نفسها حول المصطلح العلمي الواحد اذ كيف ؟ وماذا نختار ؟ 2 - حين نواجه الخلاف في تعريف « السوابق » و « اللواحق » التي تتقدم الكلمة الاجنبية او تضاف الى آخرها ، وكيف نأخذ بها ؟ وكيف نفعل ؟ وخاصة عندما يتضارب ويتصارع النقل والتعريب والمجاز والوضع والنحت .

● ان المصطلح اللغوي العلمي عملت بحرم على ارساء منهجية العمل في التعريب ، وقد اشرنا الى ما وضعه مكتب تسمية التعريب في الرباط ، ولكن المشكلة الاساس تكمن في « عدم الاخذ » بها كخطوة عمل ملزمة . وتكمن ايضا في عدم التطبيق الدائم والمشارك الذي يخرج بالعملية من اطر الفردية ، والفئوية الى اطر العمل الجماعي المشترك وعلى امتداد الوطن العربي . وحتى لو افترضنا وجود ثمة خطوط لعمل مشترك ، فالمشكلة تظل تكمن ايضا في « عدم وجود رقابة عربية على التنفيذ » وبالتالي فكأنما تبدو السلسلة وكأنها غيابة للمنهجية على صعيد التعريب .

ربما كان في تعميم ما وضع من « منهجية » على الباحثين والجامعات ما يكفل لنا وضوح الرؤية وتناغم العمل والتقاء وجهات النظر وتفتيت الاجتهادات الفردية والقطرية الى حد كبير تمهيدا لوحدة « العمل » .

في ستة علوم هي : الفيزياء والكيمياء والحيوان ، والنبات والجيولوجيا ، والرياضيات نسي التعليم العام . وعند اتمام ذلك اصبح التقدم نحو تعريب التعليم الجامعي . وقد لوحظ ان خطوة تعريب التعليم الجامعي لم تزل حفا من الاشادة والجديّة ، وقد اعتبرها الدكتور فيصل عقبة من عقبات التعريب وتتمثل في « فقدان التسلسل والتتابع في الصرح اللغوي » (18) ، وهو محق في ذلك ما دامت مرحلة تعريب مصطلحات الدراسة قد تمت او لنقل تمّ الجزء الاعظم منها . ولما كان التعليم العالي له خطورته الكبرى في قضايا التطوير والتنمية بانواعها ، فكل تأجيل وتباطؤ ، وبالتالي انقطاع تسلسل العمل لن يضر أحداً غير المصلحة العربية . أمل بعد هذا ، ان يكون مؤتمرا الحالي « مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي - بغداد آذار 1978 » بداية جادة لمرحلة عمل جادة وصعبة ولكنها مثمرة .

اذا لم نذهب الى تفصيلات في طبيعة العوائق والتسميات فان الباحثين بإمكانهم تبويبها تحت صنفين رئيسيين هما : (19).

(1) عوائق خارجية قيل فيها إنها ليست جزءا من عملية التعريب بل محمولة عليها حملا ، وتتخلص في عائق ضخم ومستعصم هو « مدى الالتزام بالتعريب ، ومدى الوفاء بهذا الالتزام » والسبب ان قضية الالتزام هي الخطوة الحاسنة نحو مرحلة التطبيق ، اذ لا تطبيق لاي شكل من اشكال التعريب ونتاجاته دونما التزام تطري وقومي به . انه اخراج الجانب النظري الى صعيد العمل .

(2) عوائق داخلية يفسرها بساخص بانها نتيجة لاستقطاعات بسبب العوائق الخارجية ، وتتمثل في أمرين خطيرين :

1 - ما دعاه فيصل بـ « تشتت الجهد » والمقصود ، كما اسلفنا في صفحات سابقة ، ان التعريب ليس محصورا بجهة معينة بالذات ، وانما هناك افراد ، وهيئات رسمية هي المصالح اللغوية والعلمية ، ثم هناك الجماعات ، وكل منها يعمل بما يشبه العمل المستقل .
ما خطورة تشتت كهذا ؟

يجيب الباحث : انها تكمن في ان التشتت يكون

لم نأت بجديد ، فهذه دعوة لم تقتصر على ما يدعو اليه مكتب تنسيق التعريب في معظم منشوراته ، ولكنها تنطلق أيضا من باحثين كثيرين غيرين على اصلاح الفوضى الضاربة أطنابها .. ان الباحثين يرون وجوب قيام المجامع اللغوية بوضع اصول تصبح قواعد للتعريب لأكثر من غرض : القياس عليها والجري على نسقتها والسير عليها وبالتالي فهي السبيل الى قضية توحيد المصطلح ونشره في الجامعات العربية.

الحلول المطروحة لمشكلة التعريب على الساحة العربية

أثير ، ولا يزال يُثار ، سؤال : ما مدى صلاحية العربية للتعليم الجامعي عموما ، والكليات العلمية على وجه التخصيص في ضوء التطور السريع في العلوم والتكنولوجيا والمصطلحات العلمية ؟ والى متى تظل الدروس في الكثير من هذه الكليات تلقى بلغات اجنبية ، ويقرا طلبتنا كتباً ومناهج اجنبية انكليزية وفرنسية ؟ وماذا عن اشد المتحمسين للعربية من اعضاء الهيئات التدريسية في مثل هذه الكليات والذي يجد نفسه مضطرا ومحولا على صدر الموجة فيقبل بهذه المناهج لغياب البديل العربي ، ويانتظار المنعطف الكبير نحو اللغة القومية آجلا بعد ان تعثر العاجل ؟

ما هي طرق تكين العربية من مسابرة التطور العلمي المعاصر وخاصة ان الاهتمامات العربية منسبة على دعم وتوسيع نطاق التعليم العالي والدراسات العليا وتهيئة رعايل من المتخصصين في تخصصات دقيقة في نروع المعرفة ؟

باستقراء التاريخ العربي الحضاري والعلمي، فان العصر العباسي الذهبي لم يعان من محنة الترجمة. وقيل ان عناية العرب بالثقافة والعلوم قد بلغت ما سمي بأعجب العجب ، فالخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد طلب من أحد اباطرة القسطنطينية أن يعيره «ليو الأرميني» المشهور بالرياضيات في مقابل صلح دائم . وكان يعطى في مقابل ما يترجم له ذهباً بقدر ثقل ورقه او رقه . وقد نقل المترجم حنين بن اسحق 95 كتابا .. وباختصار فقد استوعبت اللغة العربية التراث الحضاري الانساني (20) .

نحن لا ننكر ان عصر الانتحطاط الطويل جسد النشاط الذهني العربي ورمانا في سبات حتى امحلت العربية تقريبا من المصطلحات العلمية والفنية المتجددة في عوالم أخرى طوال فترة الاحتلال الاجنبي.. ثم تحركنا بعد الحرب العالمية الاولى.. بدانا اهتمامات جادة باللغة والتراث مما اعطى زخما قويا لحركة التعريب ، جنبا الى جنب مع تحركنا السياسي وتفتح الوعي القومي العربي . وفي العشرينات فصعوداً تم إنشاء مجامع اللغة لتؤدي دورها في رند النهضة وبتظلة الانسان . ولكن السؤال تحرك عن قدرة العربية على أن تقوم من كبوتها فتحتضن الجديد وتؤلم نفسها معه وتصبح لغة علمية في عصر العلم والتكنولوجيا. ودفع مكتب تنسيق التعريب استفتاءه في سنة 1966 فماذا توصل اليه من دراسة الاجابات ؟ وماذا ركز الباحثون المنتصون للمشكلة عليه من انوار ؟

كاجابة على عموم المشاكل والعوائق ، يمكننا تشخيص الطول المطروحة على الساحة العربية آخذين الجوانب الايجابية التي من الممكن العمل بها، اما المواقف السلبية التي تجيء من خصوم العربية فقد استطنها كليا .

● حلول لمشكلة التعريب : الدروب المفتوحة

لنلق الضوء على جانب ما طرح من حلول تتناول مشكلة التعريب وما هي الدروب المفتوحة امانا للوصول الى نقطة الهدف الاساس ولو كان هناك اكثر من درب ، ولكل درب مطباته ، اذ لا نتوقع سهولة المسيرة .

ان اعداء العربية من الخارج والداخل من جهة، والمتخوفين من حسنى النية من جهة اخرى للقوا ظللا قاتمة من الشكوك حول قدرتها اذ يرون فيها تصورا نظيميا لا يتماشى وطفرة العلم والتكنولوجيا. وفي ضوء هذه المسلمة فانهم يصلون الى استنتاج هو عدم صلاحية العربية للتدريس في الكليات العلمية الا في حدود ضيقة جدا ، ولا بد من اللجوء الى واحدة او اكثر من اللغات الاوربية لدول علمية صناعية متطورة ليتمكن الاساتذة والباحثون من متابعة ما يجد على الساحة ، وياخذوا بأيدي طلبتهم في الجامعات الى عين المستويات لنظرائهم في اوربا والامريكتين واليابان .. الخ .. وقد ركر في الحديث على ان الانكليزية او الفرنسية او الالمانية تخدم هذه الاغراض العلمية والتكنولوجية والتطبيقية .

لا يتفق الكثيرون مع هذا الاستنتاج الحاد المتطرف بل يقدمون أكثر من أسلوب لمجابهة المشكلة.. انهم يرون الحل ، ونحن معهم ، في اللجوء الى ما لجأ اليه السلف : التعريب . والدروب الى ذلك هي :

(1) **طريقة الاستقاق** : الاستقاق ، في رأي المربي ساطع الحصري ، أهم الوسائل في ايدينا لانه « الأنموذج » الاصلية التي كونت اللغة السمرية . كما أن الاستقاق ، كما يقول ، يضم وسيلتين أخريين هما النحت والتعريب اذ انه يتناول نتاج التعريب والنحت أيضا ويولد كلمات جديدة حتى من الكلمات المعربة والمنحوتة (21).

ويعتقد أيضا ان طريقة الاستقاق اعم واهم الطرق وأخصبها وأمنحها مجالا ، اذ تؤخذ اللفظة الاعجية وتؤلم وتحور لمطالبات نطقنا ، ونشتق منها انعالا ومصادر وصفات . فمن كلمة تليفون نقول تلفن يتلفن . ومن مهندس ، هندس ويهندس وهندسي . ومن كلمة تلفزيون ، تلفز ويتلفز وتلفزيوني ، ويرى كاتب ضرورة السير على سنن اللغة في الشمول والتعميم وتوسيع آفاق الاستقاق وادخال بعض الزيادات . . (22) ان الاستقاق اذن معين لا ينضب للمربية . ويجب ان تنبئه بقوة على ان الاستقاق يعطى اللغة العربية أهم صفاتها ، مقارنة مع لغات أخرى تعتمد على طريقة النحت .

ومع هذا ، فان الحصري يحذرنا بان الاستقاق وحده لا يكفى لتوليد الكلمات التي يحتاجها التفكير البشري . ويعلل السبب « لان عمله مقصور على أوزان وقوالب معينة . وهذه الأوزان والقوالب مهما كانت كثيرة وولودة لا تستطيع ان تستوعب جميع المعانى العقلية ، فلا بد من الاستعانة بالتركيب ، والاقدام على تركيب كلمتين او اكثر على شكل تراكيب مزجبة ووصفية واذافية وحتى على هيئة جبل فعلية » (23)

(2) **طريقة الترجمة او النقل** : قام المترجمون العرب بنقل الكلمة بما يقابلها بالعربية وما يدل عليها ، وقد نجحوا في القرون الثالث والرابع والخامس الهجري في هذا الخط . ويقول باحث « نجد في لغة النقلة من العصر العباسي أثرا قويا لليونانية في نقل الالفاظ الهندسية والحسابية من جيب ومخروط وأعداد أولية وأعداد زائدة وأعداد ناقصة ... الخ . كما نجد

لحركة التبادل في المنتوجات العلمية بين الهندية والعربية في القرن الثاني والقرن الرابع للهجرة علوم الطبيعة الهندية ، والكهربان والنارجيل ، وفي الرياضيات لفظ اهليلجى للقطع الناقص ، ولفظ الصفر للدلالة على الخلو ، والارقام الهندية التي نستعملها الآن (24).

(3) **طريقة المجاز** : ومعنى المجاز كما يعطينا علماء اللغة استعمال لفظ لشيء بينه وبين الحقيقة اتصال . وقد استخدمها السلف للوصول الى الفاظ تنقل المعنى الجديد مع الإبقاء على اللفظ المتداول . ومن الامثلة على ذلك : (25)

ا - كلبة الحساب ، الاحصاء وأصلها من الحصب والحصا .

ب - الجيب لنصف الوتر في القوس ، وأخذه من طوق التبيص .

ج - مسح ومنه المساحة ، وأخذه من سار على الارض .

د - الجبر وهو إصلاح العظم المكسور واستعملوه اصطلاحا لازالة حرف الاستثناء وردوه في المعادل الآخر من المعادلة واطلقوه على علم الجبر .

(4) **النحت** : طريقة تثري العربية بكلمات جديدة . وقد أصاب القدامى والمعاصرون حظا كبيرا من النجاح في استعمالها . كما استعمالها علماء اللغة في لغات أخرى . والنحت يرفد طريقة الاستقاق اذا كانت لا تكفى . ويؤكد المختصون لنا على ان النحت طريقة تعتمد على الترتيب والمزج او الاختصار من لفظين او اكثر فيتولد من ذلك لفظ مركب جديد او لفظ موجز جديد . وهذا ما يدعى بالتوليد والانفلاق في طبيعة العربية اللذين منحاهما حركية هائلة . وما لا ريب فيه ان التقدم التقنى والحضاري سيجعلنا امام مجابهة في توسيع افاق الاستقاق وأطر النحت لتلبي احتياجاتنا ، ولربما توسعنا ، كما يقال ، في تركيب كلمات ثلاثية لم تستعمل بعد فالحاجة أم الاختراع . وهنا يأتي دور المتخصصين والعلماء والمجامع .

ومن امثلة النحت ما ياتى : (26)

1 - اللادرية : من لا ادري ، اللية : من لم ، العنفة : من عن وعن ، شمخر : من شمع وخر ، محبرم : من حب ورمان ، نحيل : من دح وحمل ، حسيلة : من حسبي الله ، سمعة : من السلام

عليكم ، مشككة : من ما شاء الله كان ، عبدي : من عبد الدار ، مرمى : من أمريء القيس ... الخ (27).

ب - ثم هناك النحت مثل : اينما ، بينما ، ما خلا ، لولا ، لوما ، مهما ، هلا ، لا جرم ، لا محالة ، ما وراء ، ما بين .

ج - وهناك الكلمات التي يرجع أصلها الى النحت مثل : بسملة ، حيلة ، صيلة ، هيلة ، حوتلة ، سبيلة ، جعفدة ، دمعزة ، بابة ، فذلقة ، لا شيء ، هرول ، بعثر ، دحرج ، خرمش ، دعثر ، لكن ، كان ، الآن .

د - الاستفاداة من لا النافية مثلا : اللامتاهي ، اللاضروري ، اللادائي ، اللاصوفية ، اللا أدرية ، اللاأخلاقى ، اللامركزي ، اللاسلكى ، اللاهوائى ، اللانناظري ، اللااجتماعى ... الخ .

ه - وهناك استخدام النحت في وصف شيء بعد فترة باستخدام حرفي الغين والباء (غب) فنقول : غبهجرة : بعد الهجرة ، غبدرسى : بعد المدرسي ، غبجليدي : بعد العصر الجليدي ، غبولادة : بعد الولادة .

ونستعمل حرفي القاف والباء (قب) في وصف شيء حدث قبل الفترة مثل :

قبتاريخ : قبل التاريخ ، قبميلاد : قبل الميلاد ، قبهجرة : قبل الهجرة . قبولادة : قبل الولادة .

و - ويمكننا نحت كلمات « خارج ، وفوق ، وتحت » على شكل خا ، فو ، تح ، فنقول :

خاتوس : اي خارج القوس

نوسوي : اي فوق السوي

تحشعور : اي تحت الشعوري

فوينفسجي : اي فوق البنفسجي .

ز - ونقول في نحت كلمات مركبة :

برمائية : اي بر ومائية

حينبات : اي حيوان ونبات

حينين : اي حوين ومنوي

بيروج : اي ييقى روحا .

ح - اضافة الى ما مرّ من مقترحات نحتية اقترحها الاستاذ ساطع الحصري فانه يقترح التراكيب التالية :

حينومة : من حيوان وجزئومة

عفنيات : من عفن ونبات

عظنبات : من عظم ونبات

سرمنة : من سير ونام للذين يسيرون اثناء

النوم

حلتظة : من احلام اليقظة

ط - ويقترح مثلا :

كلمة قبلانى a priori حكم يصدر قبيل

البحث والدرس

كلمة بعدانى posteriori حكم يصدر

بعد البحث والدرس .

ي - ويقول انه اثناء تدريسه لمادة الاحصاء في بغداد ولم تسعفه المصطلحات العربية بما يوازيها في لغة اخرى فانه استعمل في محاضراته الكلمات التالية :

Médian	مقابل كلمة	واسط
Quartile	» »	ربعيل
Décile	» »	عشريل
Centile	» »	مئيل
Centilage	» »	تمئيل
Décilage	» »	استمشار
Quartilage	» »	استرباع

(5) طريقة التعريب : قيل اذا عزت علينا مهمة

ايجاد كلمة عربية لترجمة كلمة أعجمية ، او صعب النحت او المجاز او الاشتقاق لاسم او فعل ، فعند ذلك نلجا الى اسلوب آخر هو طريقة تعريب امثال هذه الكلمة .. ويؤكد المعنويون والمتخصصون بهذه الجوانب ان هذه قضية جدّ مهمة لان اسقاط التعريب وعدم اعطائه دوره سيوسع الهوة بيننا وبين من سبقنا في ميدان العلم والتكنولوجيا سيما وان النهضة العلمية والتقانية والتطور التنسي والمخترعات والمعدد والآلات تزحف بسرعة . ان الاحاطة ومواكبة الركب العالمي الحضاري والعلمى بحد ذاته لا يكفي ، اذ ان عقلاغا يذكروننا بان هذا جانب واحد من العملة . اما الجانب الآخر فهو دورنا في المشاركة والابداع والريادة الاصيلية ، تماما كما كنا في ترون خلت .

الموقف من التعريب كطريقة جيدة قد جابه على الاقل راينين يوجزهما احد الباحثين كالتالى : ا - وجوب اتباع الكلمة المعربة وزنا عربيا اذ ليس التكلم بكلمة اجنبية كافيا بان تصبح عربية. ب - وهناك فريق يضم جبهة من اهل اللغة ، ومنهم العلامة

سيبويه ، يرى أن التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة
الاعجمية مطلقا بالحاقها ببنى الكلام حيناً ، وعدم
الحاقها احيانا .

ومن المشاهد ان العربية قد برهنت على مرونتها
القوية واتساع صدرها لاستيعاب كلمات اجنبية رغم
وجود ما يقابلها في العربية . ولم يكن في ذلك ضير
عليها .

ومنذ عام 1926 دعا المجمع العلمي العراقي
في خطته اللغوية الى طريقة التعريب وطريقة الاشتقاق
ورأى ان قضية وضع الكلمات الحديثة تجري اما على
هذه أو تلك ، أو الجمع بينهما عند اللزوم ، ثم الرجوع
الى طريقة النحت عند الحاجة . ولجمع اللغة العربية
في القاهرة رأي هو وجوب اعتماد المصطلحات
بالتقريب عنها في كتب اللغة القديمة ، فاذا عزت ،
فيتم للجوء الى الاشتقاق ، أو المجاز ، أو النسب ،
أو التصغير . كذلك اجاز هذا المجمع استعمال بعض
الكلمات الاجنبية عند الضرورة على طريقة العرب في
تعريبهم .

● حلول لمشكلة اعضاء الهيئة التدريسية الجامعيين

اما بالنسبة لمعاناة ومشاكل اعضاء الهيئات
التدريسية في جامعاتنا وكلياتنا ومعاهدنا العربية في
الوطن العربي ، وعلى مختلف مستوياتهم ودرجاتهم
العلمية وتخصصاتهم فالقائمة طويلة حقا ، ولكل بلد
عربي طبيعة ظروفه الموضوعية التي تلي عليه أنماطا
مقاربية أو متباينة ، من مشاكل وضغوط تزيد من
متاعب الاستاذ الجامعي ، وتعرقل عمله بنسبة أو
أخرى ، وقد تفعل فعلا سلبيا يشيع التبرم وفقدان
الامل ، ولربما نمو عامل « الاعتراب » وهو شر
مستطير .

المقترحات والحلول كثيرة ايضا ، جفلت بها
الدراسات والمقررات والتوصيات . ونطلق بها قيادة
البلدان العربية والوزارات المعنية ومجالس التعليم
العالي والاساتذة الجامعيين انفسهم ، واهتمت بها
وسائل الاعلام .. الخ . ولعل في النماذج التالية ما يوضح
عددا من الحلول المطروحة : لقد ارتؤي القيام بتكوين
مكتبة علمية ، أو جهاز مبادل ، تكون مهمتها تعريب
المراجع العلمية المختارة وعقد جلسات وحلقات

دراسية جامعة لمشكلة المعجم العربي والسرعة في
تعريب المصطلحات العلمية بكيفية توازي سرعة تطور
العلوم والمخترعات والتقدم التكنولوجي ، وامسدار
كتب جامعية موحدة بين الدول العربية ومشاركة
مختصين من الجامعات في عمل مشترك لايجاد المصطلح
العلمي الملائم وخلق لجنة جامعية من هيئة التدريس
تشرف على ترجمة الابحاث العلمية التي يضمها
الاساتذة بلغة غير العربية ، وعلى ان تتميز هذه
الترجمات بالسهولة والوضوح والسلاسة وتنسيق
الجهود بين مختلف لجان الجامعات ونشر البحوث
المرجمة لتميم الفائدة . (28) وكما قلنا فهذه ليست
نهاية الحلول بل تمثل شريحة تصلح كورقة عمل لتفادي
عدد من عراقيل لم يحل بعضها أو معظمها بعد .

● ما الحلول لمشكلة المصطلحات العلمية العربية ؟

عند مجابهة مشكلة المصطلح العلمي في قضية
التعريب والتدريس والتأليف والبحث العلمي
والتطبيقات العملية تجابه الجامعات العربية اعتم
واقسى ما تمر به من مشاكل ، فالمصطلحات ضرورة
أنية ليس لمجرد تبادل الحديث والطرح والمناقشة في
لغة الانصاح والابانة ، ولكنها جسر للتفكير ايضا .
وقد عملت الجامعات اللغوية والعلمية والهيئات على
دراسة المشكلة ووضع الحلول كمقترح يعمل به ،
ويجب ان يتم ذلك بسرعة لسبب واضح هو ان
المصطلحات تنصب يوميا بشكل متواصل ويجب انجاز
نسبة كبرى منها ترجمة أو تعريبا والا فان الهوة
ستصبح واسعة الى درجة مخيفة . وما قيل في الحل
كثير ايضا ، ولكنني ارتساي عرض وجهة نظر
الاستاذ بنعبد الله الأنسي اتفق معه كثيرا في ما
ي طرح : (29)

- 1) عقد المؤتمرات العلمية والاكثار منها سيقضى
على اختلاف المصطلحات العلمية .
- 2) يقوم المختصون في الجامعات العلمية بوضع
المصطلحات كل حسب اختصاصه ، ثم
تعرض على الجامعات اللغوية لاتقرارها ، مع
مراعاة جانب السرعة في العمل على تعريب
المصطلحات .
- 3) توحيد المصطلحات العربية تحت اشراف الجامعة
العربية (المنظمة العربية للتربية والشتغانة

والعلوم) وبمعاونة اعضاء المجامع في الدول العربية مع تحديد مدلولها وتوضيح مفهومها العلمي .

(4) تتبع الاساتذة لما تقرأه المجامع اللغوية من المصطلحات وتطبيقاتهم اياها في تدريسهم وتلاميذهم وابحاثهم .

(5) قبول المصطلحات العلمية العالمية بالفاظها اللاتينية كما تقبلها جميع اللغات الحية ، وبضمنها الروسية .

(6) الاقتصار على التعريب الحرفي للمصطلحات ذات الطابع الدولي وتوفير الجهد على المجامع اللغوية .

(7) الاكثار من ترجمة امهات الكتب العالمية .

(8) ادخال الالفاظ العامية التي لا يوجد لها مقابل في النحسى والتنقيب في مؤلفات القرون الوسطى العربية عن الالفاظ المولدة التي تخلص منها المعاجم ، ووضع كلمات جديدة عن طريق الاشتقاق وتضمين مفردات قديمة معانى جديدة.

(9) نشر معجم للمصطلحات التقنية الاجنبية مع جميع مقابلاته باللغة العربية .

(10) اصدار قاموس عربي علمي .

(11) عقد حلقات على نطاق الوطن العربي لبحث مسألة تجديد اللغة العربية تحت اشراف مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي - الرباط .

(12) قيام مكتب تنسيق التعريب بهبة التوجيه والتمميم .

طريق الخلاص : النتائج المستخلصة

كانت الجولة على ساحة البحث طويلة ، وفي هذا القسم منه استلهم من واقمنا أولاً ، ومن احتياجاتنا الآتية التي اصبحت جدّ نهمة ومسؤولية علمية وأدبية وقومية يجب ان نتحملها بأمانة ثانياً ، ثم ثالثاً من مجمل الابحاث التي تمت على هذا الصعيد، نستلهم بعض النتائج والتوصيات التي ربما - اتول ربما - تشكل طريق الخلاص من المحنة التي نعمانها جيبما في وطننا العربي ، وبالتالي يصلح بعضها للاحتضان العلمي التطبيقي .

اولاً : بالنسبة الى التراث الفني فاننا نتفق على انه ليس مجرد اراث نعتز بقيمه وانكاره ورصيده الكبير ، بل يجب ، عند تقويمنا له في حاضرنا ، ان نركز على ما دعاه أحد الكتاب بأنه رصيد ينظر اليه من زاوية قدرته الانتاجية التي تتناسب مع قدرتنا نحن حالياً على توظيف هذا التراث (بمعانيه ، بقيمه ، بانكاره ، بأنماطه) وعلى استثماره اي بايجاز مدى قدرتنا على استعادة هذا الرصيد وتمثله وابداعه لنكون بحق « مشاركين ومسهمين في ركب الحضارة ، لا مجرد متلقين ومستوردين » (30)

ثانياً : بالنسبة الى الحاضر

لن اكرر المعومات والمشاكل وعوامل الشد الى الوراء والخلول ، فقد كتفنا منها ما فيه الكفاية من دراسات وابحاث ومعالجات في هذه الموضوعات ... وهذه الكفاية المطروحة على الصفحات السابقة تعزز جملة حقائق لا يمكن نكرانها او الاستهانة بها .. وهذه الحقائق تتجمع في خلاصة واحدة وتبلور مركز وهو : بان تعريب التعليم العالي يتطلب العمل على :

1 - الأخذ الصارم ببداً الالتزام بما يعرّب على صعيد قطري وصعيد قومي ، والا فان نتائج هذا المؤتمر ستكون حلقة من حلقات ماضية ، ومجرد تأطيرة أخرى على سكة الابحاث والتنظير واللقاءات بين الأشقاء العرب وأصدقاء العرب .

الالتزام بما تتمخض عنه مرحلة التعريب وأساليب التعريب ومن يقوم به ، ثم جعله تطبيقاً مشاعاً ومعاشاً قضية ليست بيد الافراد أو المنظمات في بلادنا .. ان تطبيق الالتزام ، كما قيل ، « قرار سياسي بالدرجة الاولى » يتطلب من سياسة وقادة الدول العربية دعم ما وصل اليه العلماء واللغويون والمجامع والجامعيون من نتائج ، وتطبيق ذلك ليس بشكل مبعثر ومتفرق ولكن بشكل موحد على الصعيد القومي .

نحن لا نجعل ، كجامعيين ، ان قضية التعريب والمصطلح العلمي العربي بوضعها الحالي بنيان ضعيف ومتخلف جداً فقد سبق التنظير التطبيق بمراحل .. وكما قيل مرارا وتكرارا « ما لم تتخذ الحكومات العربية قراراً قومياً سياسياً واجتماعياً لهذا الغرض (اي الالتزام بالتعريب والمصطلح العربي) فان كل جهد يبذل في نطاق التعريب سيقتى جهداً نظرياً